

الدكتور محمد رجب البيومي

مستشرق

اهدي مقالي الى صديقي الكاتب الكبير الاستاذ نقولا يوسف (١)

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

***

في مجلس هادىء مع صديقي الفقيد الكبير الاستاذ صديق شيبوب حدثني ان المستشرق المعروف الاستاذ بروكلمان كان يرسل اجزاء كتابه « تاريخ الادب العربي » تباعا الى صديقه الدكتور بشر فارس فيسارع الى التنويه بها في مجلتي الرسالة والمقتطف ذاكرا اسماء من عناهم المستشرق الكبير بالحديث من اعلام الادب المعاصر ومبشرا بصدور جزء تال يتسع للكثيرين من المجيدين ، قال الدكتور بشر — على لسان الاستاذ صديق — وما كاد مقالي يظهر حتى توافد علي الكثيرون من ادعياء الادب واصلائه ومع كل وافد شذرات من شعره وفصول من كلماته لاقوم بايصالها الى بروكلمان كي يتسنى له ان يذكر هؤلاء الكرام فيما يجد من تأليفه الحفيل ، وكنت اقابل هؤلاء بالابتسام تارة ، وبالرد بالتي هي احسن تارة أخرى ثم بالتلويح الى اشياء واضحة اهمها ان المستشرق الكبير صاحب راي فيمن يأخذ ومن يدع ، وانه فاحص موسوعي لا يكاد يفوته شيء عناه ، كنت الوح بذلك احيانا واصرح به حين لا اجد بدا من التصريح ! ولكن الالحاح يتزايد لان كل ناظم او ناسخ عند نفسه جدير ان يكون محل اعتناء بروكلمان !

هذا ما قاله الاستاذ صديق منذ خمسة عشر عاما ! وقد جدت قصة طريفة ، دعتني الى تذكره ، ثم فرضت علي ان اوجزها في هذا الحديث .

لقد وفد على القاهرة منذ ثلاثة اعوام سائح من شباب الالمان ، كان من همه الاول ان يتمتع بشمس النيل الدافئة في الشتاء ، ثم بدا له أن يقيم في عاصمة البلاد اسبوعين قبل ان يذهب الى مشتى الاقصر ، والسائحون من هؤلاء الشباب الناشط لا يهدءون في مكان ، بل يتركون لاقدامهم ان تحملهم في كل متجه ، فقد تأتي المصادفة بغريب المشاهد ، وطريف الانباء ، وقد حلا لصاحبنا ان يسير في طريق (ابن طولون) متجها الى القلعة ، فشاهد عشرات المساجد ترتفع مآذنها العالية متجاورة متدانية حتى لتكاد تتعانق ، ثم مضى حيث شاهد مسجد السلطان حسن يقابله مسجد الرفاعي وهما من جلال البناء وروعة الفن ، وزهو العمارة ، وعلو الرتقى بحيث يشدان الانتباه ، فدخل احدهما جائلا في ابهائه ، وتفرس بين المصلين من تظهر عليه سمة الثقافة ، فاتجه اليه يتحدثان ، وتشعب القول فخرجا مصطحبين ، ثم جلسا على مقهى عام ليتحدث احدهما عن مركزه الجامعي استاذا للتاريخ ، وليتحدث الثاني عن سياحته لوادي النيل فاقامته العابرة باحد فنادق القاهرة لمدة اسبوعين ..

وجاء اليوم التالي فذهب استاذ التاريخ الى كليته ، ولقي احد زملائه في القسم فسأله :

— من هذا الذي كان معك على المقهى بالامس ؟

— لعلك رأيتنا !

— نعم ، واظن انه شاب اجنبي !

— هو استاذ الماني وقد سعى الى لقائي ، وضرب معي موعدا تليفونيا فقابلته لاتحدث معه في احدى نقاط التاريخ الروماني .

— وما مبلغه من العلم ؟

— هو لا يتجاوز الثلاثين ولكنه عميق الثقافة الى درجة لا تتصور ، لقد قرأ اكثر ما كتب في الالمانية والعربية ايضا حتى مذكراتي الجامعية وصلت اليه وقرأها ، وناقشني فيها .

— عجب ، انه باحث عظيم .

— الالمان اناس جادون يعرفون انصار الثقافة واساتذة الحضارة شرقية وغربية في كل بلد من بلاد الشرق والغرب ، حتى مصر لقد عرفوا اساتذتها الجامعيين .

— واين يقيم الان ؟

— حدثني انه يقيم بفندق (كذا) لمدة اسبوعين .

وانتهى الحديث ليبدأ بملهاة طريفة ، فقد حسد الاستاذ زميله لصلته الوثيقة بمستشرق كبير !! وظن

١ — عند صديقي الكاتب الكبير الاستاذ نقولا يوسف طرائف كثيرة نتحدث عنها في مجالسنا الصيفية بالاسكندرية . وقد بدات لاشجعه على ان يبدأ فنؤلف كتابا تكون حقائقه اغرب من الخيال .

ان السائح الشاب سيذهب الى المانيا ليكتب بحثا وافيا عن اساتذة التاريخ في مصر ، فكيف يفوته هذا الفوز الخطير .

لقد فكر في ان يبادر بمحاصرة الزائر الشاب في فندقه ، وان يحمل اليه كل آثاره (مذكرات الطلاب المساكين !) مع مقال يتضمن ترجمة تاريخية للمؤلف الاستاذ ، وصورة شمسية للملامح الجادة واتزانه الوقور، حتى اذا مضت الجولة السريعة بأعبائها حضر الى الكلية في اليوم التالي ليلقى زميله فيفاجئه بقوله :

ـ لقد قابلت المستشرق بالامس ، واهديته مؤلفاتي بالفندق !

ـ المستشرق ! من ؟

ـ الاستاذ الالماني الذي حدثتني عنه !

ففغر الرجل فاه دهشا ، وقال :

ـ اهو مستشرق !؟

ـ نعم يا اخي ؟! الم يقرأ مؤلفاتك وينقل عنها !

ـ صحيح !!

ـ لقد سارعت الى الفندق ، ومعي عشرة كتب منهجية ، فتشرفت بمعرفته واهديتها اياه ، وقد طلب مني ترجمة لحياتي ، وصورة شمسية يلحقها بالترجمة حين يلم بحديثي ، وسأقوم باهدائه كل ما يريد !

انتهى الحديث في ايجاز ، وشرد الاستاذ الاول في خياله ، متعجبا من نفسه كيف فاته ان صاحبه الالماني مستشرق يدرس تاريخ العلم والعلماء ولم لم ينتهز هذه الفرصة وحده فيقوم باهداء كتبه الى صاحبه دون ارجاء ، ثم لماذا تحدث مع زميله المتطفل فعرفه بالرجل واعطاه عنوانه بالفندق ، هذا نزق كبير ما كان يجب ان يكون !

وحان ميعاد المحاضرة فاتجه الى طلابه مبلبل الخاطر ، ضجر النفس ، مشتت الذهن لما وقع فيه من تسرع ادى الى غطرسة زميل ، وما كاد يبتدىء في مهمته حتى وجد الطلاب يتهامسون غير منتبهين ، فقطع القول مستفهما ، فقام احد الطلاب يقول في خبث :

كان عندنا الدكتور فلان ! وقد حدثنا ان مستشرقا المانيا جاء الى القاهرة ليبحث عنه ، وانه طلب جميع مؤلفاته ، واحتال حتى حصل على تاريخ مفصل لحياته وسيكتب عنه في مجلات الاستشراق بعد اسابيع !

تأوه الاستاذ تأويهة لم يفت اثرها طلابه ، ثم اندفع يقول في غيظ :

ـ انا الذي عرفت استاذكم بالمستشرق ، واعطيته عنوانه بالفندق ، وقد طلب مني مؤلفاتي وترجمة حياتي وصورتي ولكني لم استجب !

فقال احد الطلاب في دهاء :

هو صديقك انت يا دكتور ، ولا بد ان تسعفه بما يريد !

فقال الاستاذ : انه ضيف ، ولا بد من اكرامه ، وسأدعوه الى منزلي واقدم له مكتبتي ليستعير منها ما يشاء ، فاذا اصر على اخذ مؤلفاتي فانا لا امنع انسانا من المعرفة والتحصيل !

وانتهت المحاضرة على نحو مضطرب ، اذ لم يستطع الاستاذ ان يجد هدوءه المنسجم ليتسلل في الالقاء على نحو مفيد ، وقد انتهى الوقت متباطئا ليهرع الاستاذ الى منزله فيكتب ترجمة تاريخية لنفسه ، ويبحث عن صورة شمسية تليق بمكانته ، ثم يجمع مؤلفاته ، وما عثر عليه من مقالاته ، ليهرول الى الفندق المنشود ، وكان السائح المسكين غائبا فانتظره قرابة ثلاث ساعات كانت عليه اطول من ثلاثة أيام ! حتى اذا حضر عانقه وحياه ، واعتقد الشاب الالماني ان الاستاذ يجامله بالزيارة متفضلا بعد جلسة صافية تركت اثرا طيبا في نفسه ، فشكره من اعماقه ولكنه وجده يقدم اليه مجموعة من مؤلفاته ومذكرة تتضمن تاريخ حياته ، مع صورة تذكارية تحمل اسمى عبارات الود ، فنظر مدهوشا ثم حمل الكتب الى مكان منزو من حجرته ، وانتهت المقابلة وقد شعر الاستاذ براحة نفسية اذ ضمن مكانه اللائق في صفحات الكتاب المرتقب ، واذن فلم تضع الفرصة وان زاحمه عليها طفيلي سيقترن به ! وما اجملها ميزة لو انفرد بها وحده دون الزملاء ! وهي الاحداث تأتي بالعظات ، فليأخذ حذره من الناس !

دار حديث المستشرق بالكلية ، فقد وصل الى مسامع الطلاب في محاضرة تجمع المئين ، والطلاب لا يسكتون على شيء فلا بد ان يدور القول على السنة المعيدين والمدرسين والاساتذة ورؤساء الاقسام ، ولا بد ان يفكر كل استاذ في نفسه ، وان يجمع من المعلومات عن المستشرق البحاثة ما يمهد له سبيل التعرف عليه ، بل لا بد من اهدائه اطيب المؤلفات وادسم المقالات ، اما الترجمات الشخصية فما اسهل كتابتها ، واما الصور الشمسية فما اهون الحصول عليها ، ومن ثم فقد حفل الفندق بزائريه من كبار الجامعيين وائمة الباحثين ، والسائح حائر دهش لا يدري كيف صب عليه العذاب !

مضى عامان ! وكل استاذ ينتظر ان يسعفه البريد بالمؤلف المرتقب ، وانه ليهم بالكلام مع زميله ثم يحجم حتى يسمع من غيره ما يتوق اليه ، حتى كانت المفاجأة المذهلة، اذ مر احد الاساتذة بطريق المصادفة على حانوت يقع امام الفندق ، فرأى بواجهته اكداسا من الكتب قد تراكمت ، بعضها فوق بعض ، وقد جعل منها التاجر ورقا لبيع الحلوى والجبن والزيتون ، فانجذب اليها بشعور فجائي ، ووضع يده على اول كتاب ، فاذا الكتاب كتابه يحمل عبارة اهدائه ، وبداخله اوراق تتضمن ترجمة حياته ، مع الصورة العزيزة ! فذهل لحظات ثم سأل صاحب الحانوت من اين اتى بهذه الكتب ؟ فقال دون اكتراث ، دفعها اليه صاحب الفندق اذ وجدها

بـراءة

وأحلـم أن بطاقـة حـب — تمر ببابي صبيحة عيـد
تقول : تعالي ، فانت الجمال — وأنـت الضياء وأنت النشيد
تقول : تعالي ، لعـل الحياة — تضوع بعـرف حنين جديـد
لعـل خطانـا اذا مـا التقينا — تكون ضرامـا يذيب الجليـد

وأحلـم حينـا بباقـة ورد — تطالعنـي كـل دفق ضيـاء
تقطـر منها النـدى والعبير — ومرسلهـا يحتويـه الخفـاء
وأحتـار فيمن يكـون المحب — شذاه يضـوع صبـاح مساء
وريـاه تسكن منـي الضلوع — تجددهـا يستزيـد البقـاء

بطاقـة حـب وباقـة ورد — يعابثنـي وعدهـا المـورق
أراهـا دليـل حبيب عنيـد — يهيـج الضرام ولا يحـرق

دمشـق — سلافة العامري

تزحم المكان بعد ان تركها احد النزلاء ! فحمد الله ان اخذ بيده ترجمة حياته دون ان يطلع عليها سواه ، ثـم اخـذ يفحص المجلدات المرصوصة ، لينظر ما بها مـن التراجم الفضفاضة والصور المهيبة ضاحكا من نفسه ومـن غيره حتى اذا قضى وطره ، دفع الى صاحب الحانوت ما يطلب ليحمل ما يخصه من المؤلفات ، وفي صدره شجون ، ثـم بدا له ان يرفه عن نفسه ، فبادر بالذهاب الـى كليته ، ونادى زملاءه ليقول في جد :

لقد ظهر كتاب المستشرق ، قرأتـه اليوم حرفـا حرفا ، قال عن الاستاذ فلان كذا وكذا وقال عـن فـلان كذا وكذا وقال عن فلان كذا وكذا ، واخذ يسرد اهم مـا كتبه هؤلاء الفضلاء ، في تراجمهم الحافلة اذ قراها جميعها لدى البائع ، ولا تسل عما شاع مـن الفـرح والنشوة والزهو لدى السامعين ، فناشدوه ان يحضر الكتـاب ، وهو يتثاقل عن عمد ، ولكـن مـا ذكره مـن المعلومات الخاصة يوحي بالصدق لا محالة ، حتى اذا ضاق مجال الصبر ، صاحوا واجلبوا وتوسلوا اليه ان يحضر الكتاب متعجبين كيف اختص وحده بنسخة منه ، فراى ان يقول في جد ، انه يعرف مكان شرائه ، فهـو في الحانوت المقابل للفندق فليذهب اليه من يريد الشراء !

وخف السامعون في نشوة ، ليجدوا الكتب مكدسة صفا صفا ، وبها التراجم حزينـة والصور شاحبة ، ولا ادري أكانت مأساة ام ملهاة .

الرياض ـ كلية اللغة العربية — محمد رجب البيومي



ايليا حليم حنا

تعال احدثك عن الشباب

بقلم ايليا حليم حنا

* * *

احاول دائما ان استعيد ذكريات شبابي الباكر كلما رأيت او سمعت عن تصرفات شاب او اندفاعه وحماسه وعبثه وجده ومرحه .. انني دائما اسأل نفسي : « ماذا كنت اتصرف انا ايضا عندما كنت في سن هـذا الشاب ؟ » وعندئذ ارجع الى ذكرياتي واحاول ان استعيد احساسي بكل شيء كما كنت احس به ، وهذا يجعلني لا انقم على شباب هذا الجيل كما ينقم عليه عادة من تخطوا مرحلة الشباب ...

ان عودتي بذاكرتي الى ايام الشباب تجعلني اكثر فهما لحياة الشباب ودوافعهم واندفاعاتهم وحماقاتهم واخطائهم واستمتاعهم بحياتهم اكثر من فهمهم لواجباتهم. انني كلما راقبت شابا في تصرفاته ، وكلما وضعتني الظروف لاحل مشكلة له ، او اقوم اعوجاجا فيه ، اغوص بذاكرتي في اعماق ماضي لارى ماذا كنت اعمل انا ايضا وكيف كنت اسلك وافكر وانا في مثل سن هذا الشاب . هل كنت افضل منه او اكثر حكمة في تصرفي ومسلكي ، هل وقعت انا ايضا في مثل هذا الخطأ او مثل هـذه الجماقة والتهور ، وهل كنت ارى وقتئذ ان هذا خطأ كما اراه الان ؟!

وعندئذ احاول ان اعيد الى راسي عبثي وجدي ومرحي وآمالي ودنياي التي كنت اعيش فيها وفكرتي عن الحياة والناس والعمل والوقت .. احاول ان اعيش بفكري في شبابي وان احس احساساتي وقتئذ كما كنت احسها تماما في سلسلة متصلة الحلقات ... ولكني اجد انه يصعب علي ان اتذكر كل شيء دون ان يفوتني اي شيء ... فأعصر مخي عصرا وادقق مشاعري واغوص في اعماق نفسي ، ومع كل هذا الجهد لا اتمكن ان انقل نفسي تماما الى ايام شبابي .. بل اجد انني في استعراضي لتلك الايام كمن يستعرض شريطا تآكل واندثر الكثير من اجزائه فبات عرض هذا الشريط شيئا غير متكامل يعطي نتفا من شبابي ولا يصوره باحساساته ، انه لا يصوره كوحدة متماسكة بل يصور الحقائق البارزة المجردة التي لم تندثر والتي لم يطمسها الزمن ، اما الخيال والسحر فقد طمسا ، او قل ان بلادة حسي حاليا وما اسميه رزانة وعقلا وحكمة وخبرة ونضجا طمس معالم الجنة الجميلة التي عاش فيها عقلي وقلبي يوم ان كنت شابا .

استعنت بكل ما يدقق حسي ويوقظ عقلي الباطن لاستعيد احساساتي كاملة غير مبتورة لاجمل فترة في حياتي ... اردت ان اتنفس نفس الهواء ، واسير في نفس الاماكن واتصل برفاق الشباب ، واقرأ ما كتبته وقتئذ لاقوى على استرجاع ذكريات الشباب واعيش فيها بفكري وقلبي ، ونجحت بعض الشيء ، ولكن الذكريات المسترجعة كانت تومض في عقلي وحسي ولا تلبث ان تخبو سريعا كانما قلبي قد اصبح وعاء قديما عتيقا مثقوبا تتسرب الاحساسات الشابة من ثقوبه وتنفر من البقاء فيه طويلا ... انني وانا استرجع ذكرياتي الان كمن يجمع اوراق زهرة جميلة قد انتزعت وتناثرت (بتلاتها) ففقدت كل جمالها وبهائها الذي كان لها وقت ان كانت زهرة متكاملة تدب فيها نضرتها .

عدت الى مذكراتي ... اقلب صفحاتها .. وكنت اقف عند بعض ما كتبته فيها محاولا ان اتذكر نفس الاحساس الذي كنت احسه ... كنت كلما قرأت عن انسان تناوله قلمي في مذكراتي احاول ان اتذكر المكان والزمان والاحاديث التي دارت معه وعلاقتي به ومسلكي ازاءه ... واندفاعاتي وورطاتي التي وقعت فيها وكيف عالجتها وآلامي وآمالي وسرعة نسياني لحماقاتي المتلاحقة وبريق الامال والاحلام الذي كان لا يخبو ابدا ، وضحكاتي التي كانت تنبعث من كل قلبي .

انني اشعر دائما وانا اقرأ مذكرات شبابي شعور من يقرأ قصة خيالية بارعة الحبك والاسلوب ، تنقله الى آفاق سحرية جذابة ولكنه لا يلبث ان يهبط من هذا العالم السحري الجذاب بمجرد ان يفرغ من قراءتها .

كنت في شبابي لا افكر بعقلي كثيرا ولكن كان قلبي هو الذي يقودني كثيرا ، كان هو الذي يشكل آمالي

واحساساتي وتفكيري وعلاقاتي ... واخذت افكر في كل ما كان يسعدني وقتئذ ، وهل في الامكان ان يسعدني نفس الشيء في ايامي هذه ؟ لقد كنت انظر الى الحياة دون تعمق ، كنت اكيف حياتي وظروفي ومسلكي وفق ما يهواه قلبي ، الاشياء التي لا تؤثر في حاليا كانت تهزني وتدخلني عالما علويا سحريا جميلا .. ان قوة الشباب ودمه الفائر الذي يندفع في قلبه ، وخيالاته وآماله الواسعة ، تجعل من حياته قطعة فنية رائعة يقف امامها من ولى شبابه وقفة الخشوع والتأمل العميق ، يحسد الشباب على فتوته وقوته وعذوبة احلامه ومرحه وضحكاته العميقة ، يحسده على تلك النعم التي افقدتها اياه الشيخوخة الذابلة التي لا ترى الاشياء الا بعين الواقع المرير على ضوء الخبرات والتجارب فيختفي كل سحر وجمال ويسيطر العقل على كل التصرفات والعلاقات . لهذا كانت حياة الشباب بكل ما فيها من اندفاع وتهور واخطاء اجمل بكثير من حكمة الشيوخ وتعقلهم ، والشيوخ يتمنون الرجوع الى الشباب بكل طيشه ورعونته ، يتمنون هذا في اعماق قلوبهم وان اشتكوا من عبث الشباب وقالوا عنهم انهم جيل ملتو فاسد انهم يقبلون ان يتنازلوا عن كل حكمتهم ورزانتهم وتجاربهم وان يعودوا الى هذا الربيع المشرق الزاهر ...
انني عندما اقارن حياتي وقتئذ بحياتي الان اجد فارقا مروعا ، حياتي الان جافة جرداء خالية من ازهار الربيع اشبه بالصحراء المحرقة التي لا يجد المسافر فيها الا كل عنت وارهاق ويندر ان يجد شجيرة يفيء الى ظلها .. اما حياتي وقتئذ فقد كانت واحة خصبة وارفة الظلال كل ما فيها حي قابل للنمو تزينها الزهور الزاهية المتعددة الاشكال والالوان وبها كل ما يمتع النظر ويحمل صاحبه على اجنحة ملائكية لا يعوقها شيء عن التحليق الى ابعد الآفاق ..

كنت في شبابي المبكر ارسم احلامي ولا اقول انها احلام بل اشياء لا بد ان تتحقق ، كنت اظن انه في امكاني ان احقق كل ما كنت افكر فيه ، كنت لا اومن بأن هناك حواجز وقيودا يمكن ان تعترض طريقي ، كانت آمالي واسعة عريضة محلقة لا شيء يحدها . وضعت مخططا لحياتي وقلت هذا هو مستقبلي وسيتحقق ... حددت عملي الذي سأقوم به واحسنت الظن بنفسي وقواي العقلية وعبقريتي التي سأنجز بها هذا العمل العظيم ورأيت بعين خيالي الشهرة والمجد والكسب المادي الذي سأحصل عليه ..

لم اكتف بأن اضع مخططا عاما لحياتي بل وضعت التفاصيل الدقيقة ايضا .. رسمت لنفسي البيت الذي سأعيش فيه : حجراته وعددها وسعتها والوان الجدران والستائر وقطع الأثاث ... و ... والحديقة وانواع زهورها والوانها ، ورسمت صورة زوجتي وما يجب ان تكون عليه من جمال جسماني وروحي وثقافة عالية وهوايات متعددة ونشرت وقتئذ (عام ١٩٣٩) عدة مقالات عنها في « مجلة الحديقة والمنزل » بعنوان « الزوجة التي تسعدني » و « كيف نسعد في الزواج » و « ثقافة المراة » و « المراة الغامضة الفاتنة » و .. و.. نحت في خيالي صورة الزوجة التي اريدها .. لم تكن زوجتي التي حلمت بها في ذلك الوقت امراة من لحم ودم وانما هي حلم كان يراود قلبي وفكري ... وعثرت على عدة قصص كتبتها وقتئذ عن هذه الزوجة.. ووجدت في هذه القصص عاطفة ملتهبة واحلاما براقة مذهلة وشعورا قويا جارفا .. كنت افكر في الزوجة كملهمة خلقت من اجلي ولا يسعدها الا اسعادي ... وفكرت ايضا في عدد الاطفال وكيف اربيهم انا وزوجتي ،وثقافتهم وهواياتهم ، والحجرات التي ستكون لهم في المنزل وكيف يجب ان يستمتعوا بفراغهم .. رسمت كل شيء في حياتي ووضعت ادق التفاصيل بوحي من قراءاتي وما كنت اراه في الروايات السينمائية ، وبفيض من الاحساس العميق الجارف .

كنت لا افكر في الزمن كما افكر فيه الان ... كان لي رصيدي الكبير منه وكنت لا اخشى عليه من الفناء .. كنت افكر في كل شيء وكأنني مخلد وما كان الموت يطرأ على فكري ابدا ... لم يكن للوقت قياس عندي فقد كنت املؤه بالاحلام الجميلة والمرح والمتعة ، كان عالمي جميلا وكنت سعيدا والسعيد لا يحس بالزمن ولا يفكر في مروره ... كنت اعيش كل وقتي واستمتع بكل لحظاتي ، كنت اعيش في عالم جميل من صنع خيالي وكان كله آمالا مشرقة كنت واثقا انها ستتحقق كلها .

كان عالمي حلوا جميلا ... صنعته انا بنفسي حسب ما اوحت به عواطفي وكنت اعتقد ان كل شيء اريده سهل التحقيق وانه سيتحقق فعلا ما دمت اريده وما دمت سأكبر واكون عظيما كما خططت ... لذلك فان كل ما كنت اعانيه من ضيق كان يتبدد سريعا فقد كان امامي الغد الجميل المشرق الذي لن يكون فيه ما يضايق او هناك ما يضايقني او يشقيني .. !! كل شيء ممكن ان ينغص ، انني قد رسمته بنفسي كما احب ، لذا فلن يكون يتم كما اريده ... وكان لا يشقيني وقتئذ الا ما كنت اتوهمه من تسلط الوالدين وصرامة المدرسين ، وكان املي انه سيأتي اليوم الذي افلت فيه من قبضة الوالدين والمدرسين ، وعندئذ تسير حياتي في بحر هادىء طيع لارادتي ... كنت اظن ان ابي وامي يقفان حائلا دون ان استمتع بالحياة على طريقتي وان المدرسين يحرمونني من الاستمتاع بوقتي ومرحي ولهوي بكثرة ما يكلفوننا به من واجبات نؤديها ودروس نحفظها خارج المدرسة وكان ينغصنا ما نتوقعه من عقاب وتوبيخ على التقصير ... وكانت الامتحانات مصدر رعب وفزع وهم مقيم وكنت

كلما فرغت من الامتحان في مادة او مادتين اكوم الكتب والكراسات الخاصة بهما والقي بها من طولي بعيدا وانا اتنفس الصعداء ، والقي عليها نظرة راحة ، لان الله قد اراحني من جزء من جبل الكتب والكراسات المرعبة الذي علي ان استذكره للامتحان !!

كانت هذه هي كل منغصاتي في الحياة ولا شيء غيرها ، وكنت اظن انه ليس هناك ما ينغص في الحياة سوى هذا ، وكنت اشعر بالغبطة والراحة وانا احلم بالحصول على المؤهل والعمل الذي يباعد بيني وبين هذه المنغصات .. !

كانت مقاييس القيم عندي بكرا نقية شفافة محلقة ، ولم تكن قد تأثرت بتجارب الحياة وخبراتها ... كانت الصداقة عندي متعة وصلة قوية متينة ... وكنت واصدقاء الشباب اكثر ترابطا وتماسكا وتعاونا ومحبة .. كنا نعيش في عالم القيم الطيبة والمثل العليا نتطارح الامال ونفضي بها الى بعضنا البعض .. كانت دنيانا النفسية حلوة مزدهرة ، نجتمع لنمرح ونلهو ونناقش اغوص المسائل ... كنت اظن انا واصدقاء شبابي انه في امكاننا ان نصلح كثيرا من امور هذه الدنيا بما لنا من ايمان بقوة الفكر وقوة الروح وقوة العاطفة وصفاء النفس وشفافيتها .. وكانت الصيحات التي تملأ جنبات نفوسنا ترتفع انتصارا للحق والعدل والمحبة ولم يكن لنا من المصالح الخاصة ما يجعلنا عاجزين ان نستهين بكل ما يعترض طريقنا من صخور وسدود .. كان لنا من التحمس والحيوية والاندفاع قوة دافعة جبارة ... كنا نرى في الكبار استهانة بالقيم الطيبة التي تشدنا ، وكان ايماننا بهم كقادة لنا يتزعزع ، وكنا نرى فيهم تأخرا وتحيزا ولكننا كنا نحترمهم لكبر سنهم ، لان التقاليد كانت تتطلب منا هذا .

كانت القراءة هي النافذة الوحيدة التي نطل منها على عالم الثقافة الغزيرة الدسمة ، وكانت قراءاتنا واعية وكانت عونا لنا على النضج ، والتفتح . لم نكن نقرأ للتسلية بل للهضم .. كنا نقرأ ونفكر ونعمل .. كنا على عكس شباب هذا الجيل الذي يسمع كثيرا ويقرأ قليلا .. كنا نستعين بالقراءة على تكوين مثلنا العليا ووضع اسس رحلة الحياة الممتدة امامنا ... كنا نحب الآراء الجريئة الحرة وكنا نشتط في مثل هذه الآراء الى درجة التطرف ونعتبر هذا تحررا وبعدا عن الجمود .. كنا ننتقد فيما بيننا السياسة والتقاليد بجراة مذهلة في لقاءاتنا ومناقشاتنا وكنا ضد اية قيود في الحرية .. وكنا نشتط في هذا لدرجة اننا كنا نظن ان المسؤولية التي تقيدنا وتحرمنا من المتعة ذل وهوان وعبودية ... كنا نرى في ارشادات وتوجيه والدنيا ومدرسينا اضطهادا وتعسفا ... وكنا نتصور ان من يدفعنا الى تحمل اية مسؤولية لا تنبع من داخلنا كمن يريد ان يربط حبلا غليظا حول اعناقنا ويجرنا منه ، واذكر انني كنت دواما اردد بيت ابي الطيب المتنبي :

عش عزيزا او مت وانت كريم بين طعن القنا وخفق البنود

كنت اردد هذا البيت بحماس وحمية عندما اوبخ من والدي او استاذي او عندما يصدر منهم ما اظن ان فيه جرحا لكرامتي او حدا من حريتي وكنت ارى الموت افضل الف مرة من حياة تذلني !!

كنت لا اقبل الظلم وكنت دائما في صف المظلوم وكنت احس بالظلم الذي يقع على غيري كأنما قد وقع علي ، وكنت لا اقيس الحياة بالمادة او الاغراض المادية بل بالقيم والمثل الطيبة والعدل .. وهذا هو سر ثورة الشباب في بلادنا على الاستعمار .

كم هو جميل عالم الشباب وكم هي جميلة افكار الشباب واحلامه وقوته واندفاعاته للتغيير والتقدم ومعاداة الجمود .. وكم هو جميل الا ينحدر الشباب والا يترك قيمه الشبابية بانحداره الى الشيخوخة الجامدة التي تكبر من شأن المادة وتعدل القيم الطيبة بمقتضى الواقع والخبرة .. ان عالمنا في حاجة الى ان يحتفظ الشيوخ بما كان لهم من نقاء قلب وصفاء روح ابان ايام شبابهم بالاضافة الى الخبرات التي تكسبها لهم الايام .

القاهرة — ايليا حليم حنا

الغربة في عالم الانسان

مهداة الى الشاعر الانسان علي الزيبق

الغربة مأساة كبرى
يكبر فيها الصمت ،
يحيا فيها القهر بلا أعصاب ..
يتحول ملح الارض ضباب ..
ما من سفر يأتي عفو الاشياء
لكن الصبر ملاك
يحدو أهل الارض صباح مساء
لولاه .. لانتحر الانسان ...
هل يبحر ربان السفن
في البحر الصاخب دون أمان
هل يقهر انسان في أي مكان ..
من غير سبب ؟!
وظنون الشك ترى من غير سبب
كل الاسباب أراها تكمن في الغربه
فالغربة مأساة كبرى

حلب — احمد دوغان

دمشق في الليل

✶

عصف الليـل في الفضاء البعيـد بغواش مـلء البسيطـة سـود
وترامـى فـي شاسع كعبـاب تترامـى أطباقـه عـن وعيـد
وقتـام الظلام فـي كـل أفـق يتـراءى كبيـرق معقـود
نشر الرعب في النفـوس فجاشت خوف رعـب أضالـع كبنـود
واستكانت (دمشق) تحت جناح لظلام علـى الـورى ممـدود
نعمت دونـه (دمشـق) بفيـىء من ظلال واستلسلمت للهجـود
من رآها في غمـرة حين ألقت بذراع علـى التـراب وجيـد
خالهـا الـرود اطبقت بجفـون لمنـام علـى سـراب الوعـود

نـزل الليـل ضاربا كمريـد في صعيد وعابثـا في صعيـد
سحب للظـلام فـي كـل درب تترامـى أفوافهـا كعقـود
وتهاوت فيالـق مـن قتـام كرهـام على الفضاء البعيـد
والسكون العميـق ران بصدر كان أقسى مـن يابس الجلمـود
وتبـارت جحافـل مـن ظـلام في نزول وتـارة فـي صعـود
خرست نامـة الحيـاة وكمت همسات لديـه عـن ترديـد
وتراءت (دمشـق) خلف نقـاب مـن جـلال لغابـر وجـدود
جثمت كالفضاء مـا ثـم ريب وهي ترنـو بمقلـة لبعيـد

تجد الليل في (دمشق) طريفـا يبهر العين بالطريف الجديـد
فـاح طيبـا رداؤه بأريـج مـن أقـاح وسـوسن وورود
وتـرق الانسـام فيـه كبـوح مـن مشـوق وآهـة مـن عميد
ويطول الصمت العميق ويحلـو بالاماني مـن طارف وتليـد
تجـد الصمت ضاربـا بجـران دون ليـل أطباقـه من حديـد
ودمشق التاريـخ همس نشيـد عبقـري علـى شفـاه الخلـود
ويطل التاريـخ يخطـر تيهـا بصفـاح مسلولـة وبنـود
والبطـولات اثـره مـا توانـت يمـلأ السمع قصفهـا كرعـود

ذكريات من (عبد شمس) أراها بظنونـي وخاطـري ونشيـدي
سطعت كاليقين فهـي ضيـاء لنفوس حيـرى وطـرف جحـود
وأراهـا تلـذ في كـل سمع كلحـون علويـة الترديـد
يـا بلادي ومـا ترابـك عنـدي برخيص ولـم يكـن بزهيـد
طاب عندي كالبيت طهرا وطابت ذكريـات عزيـزة مـن جـدود
كـل شبر سقتـه عيـن بدمـع ونمـاه مجاهـد بوريـد

دمشق — عدنان مردم بك

بأصابع مرتجفة واعصاب متوترة اخذ في فض الرسالة المعنونة باسم ابنته سعاد وهو غير مصدق عينيه .. خطاب باسم ابنته سعاد ومكتوب على غلافه الازرق (خاص بسعاد) يصلها على المنزل ويتسلمه وهو الرجل المحافظ الذي تنحدر أسرته من اعماق الصعيد حاملة كل ما في الصعيد من تقاليد وعادات ، انه لا يصدق عينيه لا يصدق ان الرسالة في يده وان اصابعه المرتجفة غير قادرة على فتحها ..

حاول قدر جهده ان يسيطر على اعصابه وان يعيد السكينة الى نفسه ، ولكن كيف السبيل الى ذلك .. ان رأسه تكاد تنفجر والدم يتصاعد اليها مندفعا حارا ملتهبا حتى كادت عيناه لا تبصران ، كاد هو نفسه ان يسقط اعياء .. لقد تصور الهول في الخطاب .. تصور خيانة ابنته وخيانتها لاسرتها .. تصور قصة طويلة وعريضة بطلتها ابنته التي يعتز بها والتي يحبها ويعجب بشخصيتها وقوتها .. هل ستصبح مثل ليلى ابنة جارهم التي تطارح الشبان الغرام على رؤوس الإشهاد بدلال ودلع كلما تحدث احدهم مع أسرتها في هذا الشأن سخروا منه وقالوا له (يا سيدي دي طفلة) حتى تمادت البنت وحتى حادت عن الطريق القويم واصبحت قصة على كل لسان ولم ينقذهم منها ومن مغامراتها سوى هجرة أهلها من الحي بعد فضيحة مدوية أصاب الاسرة رذاذها فهربت متسترة بليل تريد انقاذ ماء وجهها ..

هل كتب عليه ان يكون هو الضحية التالية وان تكون ابنته سعاد ليلى اخرى وان يكون لها قيس تافه من صعاليك الحي ... وتقلصت اصابعه على الخطاب ومزق اطرافه شر ممزق كأنما تصوره فتاته التي خانته والتي ضبطها متلبسة بالجريمة .

وعندما جرت عيناه على سطور الخطاب أحس بالدنيا تدور من امامه واحس بأنه مقبل على الغرق في بحر كبير لا يعرف له نهاية .. ودارت به الارض دورات متتابعة ثم تركته وسقط الرجل ولم يدر الا وهو ملقى على الارض واسرته من حوله باكية ملتاعة ، والالم يكاد يعصف بها حزنا على ما أصابه .. وتحركت عيناه وبدأت الحياة تدب من جديد في اوصاله .. واخيرا اطمأنت قلوب أسرته وعاد الى افرادها شيء من الاطمئنان واستفاق الرجل ونهض متحاملا على نفسه وأسرع الى حجرته والجميع من ورائه ولسان حالهم يقول ما الخبر ؟.. ماذا حدث ؟.. وما سر الورقة التي وجدوها في يده

الغضب

بقلم السيد ابراهيم

وأصابعه متشبثة بها لا تريد اطلاقها ؟ ، ولكن الرجل لم يشبع فضولهم وتركهم في حيرتهم فلم يجدوا بدا من التفرق وتركوه خوفا من الاثقال عليه واسرعت زوجته تعد له قدحا من القهوة حملته اليه وقلبها يخفق اشفاقا عليه ووفاء للايام الطويلة التي عاشاها سويا مثال زوجين كريمين .

وجلس الرجل حزينا واخذ يتساءل كيف يحدث ذلك .. بل لماذا حدث وكيف تقع سعاد في الفخ .. كيف تسول لها نفسها الاتصال بغريب وزيارته كل يوم في مسكنه ، ان الرسالة صريحة ، انها يتطلب منه ان يتأكد بنفسه ، عليه ان يتخفى ويتابع ابنته اثناء ذهابها الى مدرستها ، عليه ان يرى الجريمة بعيني راسه .. لا بد ان يرى فتاته وهي مقدمة على الخطأ ... ، ثم لا بد من حسابها حسابا عسيرا ، لقد خانته .. خانت ثقته وابوته ... ، خانت صداقته لها فقد كان صديقا وفيا لها لم يعاملها كما يعامل أي رجل ابنته .. بل كان ابا بارا واخا لها ونعم الصديق .. كان يحدثها عن تجاربه وتجارب الآخرين .. كان يحاول ان يبين لها مواقع الزلل لتتجنبها .. كان يبث فيها الثقة بالنفس وحب الناس واحترام نفسها .. كان يريد خلقها خلقا جديدا ومتجددا وكان يفخر بها دائما فما الذي حدث وما سر هذا التحول .. وهل هو تحول مفاجىء أم مضى عليه زمن طويل وما سر تغيرها ؟..

هل كانت تسخر منه طوال الايام الماضية ؟.. يا لضيعة الاخلاق في هذا الجيل ودمعت عيناه وكان الدمع ينهمر منهما حزنا على المثل وحزنا على فقده ابنة حلوة كان يعتبرها مثلا اعلى لكل فتاة .. والغريب ان الرجل الحزين لم يسأل نفسه سؤالا واحد : هل ابنته حقا كما تصفها الرسالة الغامضة .. هل تذهب حقا الى شقة عشيقها بدلا من الذهاب الى مدرستها .. لقد اصدر الاب المكلوم حكمه قاطعا لا يقبل النقض .. وسيطرت عليه فكرة مجنونة بانت في عينيه واحست بها سعاد عندما عادت من مدرستها آخر اليوم ولاحظت الفتاة ازوراره عنها وحقده عليها واحست بخوف مفاجيء اعتراها ، وسألت نفسها الف سؤال ، ولما لم تجد جوابا انزوت في حجرتها متألمة لما تراه

قصة

مسيطرا على جو البيت ، وحاولت ان تعرف سر قلقها هي الاخرى ولكن لم يكن في استطاعتها ان تخبرها بشيء فهي نفسها لا تعرف سببا لما اعتراها ولما خيم عليها من كآبة ، واخبرتها والدتها بما حدث لابيها وسقوطه مغشيا عليه، وعندما سمعت الفتاة بالخبر قالت : اذا كان هذا سر المه وسر حزنه فلا بد ان اخفف عنه ، وتركت والدتها وهبت مسرعة الى حجرة والدها والقت بنفسها بين يديه ولم يحرك الرجل ساكنا بل تلقاها في فتور والم وكاد قلبه ان يخفق بحبها كعادته دائما الا ان ستار الكراهية اسدل بعنف .. ، وانتفض الرجل ثم أزاحها جانبا حتى انها احست بأنها قد اهينت اهانة بالغة وان الشخص الذي امامها ليس والدها بل هو انسان غريب فعادت ادراجها حزينة .

وفي الصباح خرجت الفتاة الى مدرستها وعلى بعد كانت خطوات الاب المتاع تتبعها في خوف والم وكان الرجل في اعماقه يرجو الله ان يخيب ظنه وان تكون ابنته بريئة وان يكون ما في الرسالة وشاية من مأفون حقد عليها لانها لم تستجب لمعاكساته ، ولم ينجح في اغرائها ، وفجأة اخرجه من أفكاره انحراف ابنته عن طريقها المعهود ، وتحولها عن طريق المدرسة الى شارع جانبي ودق قلب الاب دقات سريعة فأحس بضعف مفاجيء يعتريه ولكنه تحامل على نفسه وحاول جهده الا تبتعد ابنته عن عينيه وراقبها وهي تدخل منزلا متواضعا وخفق قلبه خفقات متتالية وأسرع وراءها ولحقها وهي تكاد تصبح داخل الشقة الموجودة بالدور الارضي فأسرع وراءها ثم اغلق الباب والتفتت الفتاة خلفها فأصابها الذهول والارتباك وراعتها نظرات والدها وهو ينظر اليها شزرا وعيناه تقدحان بالشرر ووجهه قد بان عليه الاعياء وجسده كله يرتجف وزايلتها المفاجأة فعادت اليها طبيعتها وحبها لوالدها فاقتربت منه ولكنه كشر عن انيابه وابتعد عنها وهو يصرخ في وجهها : ايتها المجرمة .. ابتعدي عني .. لا تدنسيني .. انني بريء منك ولكن لا بد من محاسبتك على جريمتك .. هيا امامي الى الخارج .. الى المنزل سأقتلك انت وعشيقك .. اين هو ؟.. وبصوت يرتجف تأثرا بكلمات متقطعة حاولت الابنة ان تقول شيئا ولكنها لم تستطع ونظر اليها الاب نظرة قاتلة ثم قال طبعا



السيد ابراهيم

●

لا تستطيعين الكلام .. كيف تردين على اتهامي .. بل كيف تستطيعين النظر الي وانت تمرغين شرفي في الوحل .. وانت تتركين مدرستك وتسرعين للقاء حبيبك ... ، أين هو هذا المجرم .. أين هو ..؟

ونظر في ارجاء الصالة واستقرت عيناه على حجرة مغلقة فاقتحمها معتقدا ان المجرم بداخلها ولكن راعه ما رآه فقد كان بداخلها فراش متواضع ترقد فوقه سيدة مريضة تتطلع اليه بفزع هي وابنتها والخوف يكاد يقتلهما ، واسرعت ابنته الى داخل الحجرة واحتضنت صديقتها، واصيب الرجل بخوف وشل تفكيره واصبح لا يعي شيئا مما يرى واخذت عينان تنتقلان من النظر الى المرأة المريضة الى ابنته وصديقتها ، وبعد ان هدأ قليلا تطلع الى فتاته متسائلا واسرعت اليه الفتاة وقادته الى الخارج ثم عادت مسرعة الى صديقتها وتحدثت معها ثم أسرعت اليه وسألها الرجل اريد ان اعرف.. اريد ان افهم .. ماذا رأيت ؟.. بل ماذا أرى ؟..

وبعيون دامعة وملامح حزينة قالت الفتاة لماذا لم تخبرني بما آلمك .. لماذا تتبعني الى هنا ؟.. هل تشك في ابنتك .. هل تشك في خلقي .. انني احبك واحترمك ولو اردت الانحراف لانحرفت ولكنني مؤمنة بالخير .. مقتنعة بالشرف ولا حاجة لي الى التسلل او التستر لارتكاب الاثم ، ثم انني انسانة تفكر بعقلها قبل ان تشعر بخفقات قلبها، وكانت الفتاة تتحدث بسرعة والكلمات تندفع من فمها ووالدها يستمع اليها وهو سعيد بها .. سعيد بغضبتها .. ولما هدأت سألها من هذه الفتاة التي رآها وما هي حكايتها ؟.. فقالت سعاد بصوت يرتجف تأثرا: انها صديقتي الوحيدة التي صادقتها على الخير والشر ولم انظر لمستواها ولا لمستوى اسرتها.. صادقتها لذاتها .. لشخصيتها القوية وقدرتها على الكفاح النبيل من اجل المستقبل ، وعندما انقطعت عن الدراسة كان واجبي ان أسرع اليها فقد احسست انني لا غنى لي عنها ، واحسست انها في حاجة الي.. وصدق حدسي فقد وجدتها في مأزق حرج فوالدتها التي رأيتها مسجاة في فراش المرض وهي تصارعه بكل قواها والابنة الحزينة تمرضها بكل قواها وفي رحمة

لقاء

تلتقي الروحان كل منهما
تجذب الاخرى اليها
تلتقي الروحان .. اين ..؟
في محطه
كقطار
يحمل الود واشتات المحبه

يا جمال الكون .. يا سعد الطبيعه
يوم لا يبقى فراغ
يلتقي قلب بقلب
يلتقي فكر بفكر
تصعد الافكار من بين الشفاه
صلوات تترنم
تتلاقى .. فاذا اللقيا نعيم
يتبسم

ايه دنيانا بلا حب
وماذا يتبقى ..؟
انزع الحب من الدنيا
فماذا يتبقى

يتبقى في الحياة
يتبقى للحياة
غير غبراء فراغ
عالم خال .. رمادي
صحارى
واناس من حجاره

قد مضى الحب مضت تلك الموده
تركت ذاكرة تملؤها
الذكرى السعيده
كل ما مرت خيالات بعيده

تخرج الفكرة من بين الشفاه
يلتقي فكر بفكر
يلتقي قلب بقلب
تصبح الدنيا سعيده
يا هنا الدنيا السعيده

الرابية – لبنان

اسمى طوبي

الامهات نسيت مدرستها ونسيت دراستها وكان واجبي ان امر عليها في الصباح لاطمئن عليها وبعد الظهر لازودها بآخر المعلومات عن سير الدراسة ولادلها على طريقة تواصل بها استذكار دروسها حتى لا يفوتها شيء وحتى لا تتأثر نتيجتها آخر العام فكما تعرف نحن في الدبلوم وهي في حاجة لشهادتها لتشق بها طريقها وسط صعاب الحياة ووسط الفاقة التي تحيط بأسرتها الصغيرة، فقد توفي والدها ولم يترك لها هي وامها سوى معاش بسيط يستنزفه المرض ويترك لها الفتات تتبلغ به وتحاول أن تسد رمقها .

وسكتت الفتاة وقد بلغ بها التأثر اقصى درجاته فماتت الكلمات على شفتيها وبكت ... ، وتكلم الوالد بحنان وسألها لماذا لا يكون لك دور آخر .. لماذا لا تساعدينها ..

فتطلعت اليه الفتاة ثم قالت انني اساعدها بكل ما استطيع .. انني اقتسم معها طعامي ، بل انني اعطيها مصروفي فلست في حاجة اليه ، وقاطعها والدها : لماذا لم تطلبي مساعدتي ، فأجابته قائلة : لم ارض ان اثقل عليك .. وحتى لا اجرح شعورها فهي حساسة جدا ولا يعلم بحالها سوى الله ولا تريد ان يعرف احد بمأساتها حتى ولا والدي ...

واغرورقت عينا الوالد بالدموع وبلغ به الالم مبلغا كبيرا وشعرت الفتاة به واحست انه يتألم من اجلها ومن اجل صديقتها فأرادت ان تغير الموضوع فسألته : والدي كيف عرفت انني اذهب اليها ؟.. وماذا كنت تعتقد ؟.. بل من اخبرك .. من وشى لك بهذه الوشاية الوضيعة فاخرج لها الرسالة التي وصلته واعطاها لها وقرأتها الفتاة ولم تتمالك نفسها فمزقتها شر ممزق واحست بما اقدمت عليه فاعتذرت الى والدها قائلة : عفوا يا ابي لم اشعر بما فعلت .. فربت الوالد على راسها بحنان .

القاهرة

السيد ابراهيم

اليد الخالدة

القاها الشاعر في اربعينية المرحوم الاستاذ هاشم محمد الخطاط التي اقامها معهد الفنون الجميلة ببغداد ـ وكان الفقيد استاذا للخط والزخرفة فيه .

الدكتور هادي الحمداني

●

أمثل كفك تلويها يد ..... ومثل روحك تطويها يد الغير
هذي التي كم لوت حرفا على ورق وافرغت روحها روحا على حجر
وابدعت آية ..... خالقها وخلدت من فنون اروع الاثر
تزهو المساجد اما التف محزمها على المحاريب بالآيات والسور
يكاد يختلط السحران من عجب سحر ..... وسحر الفن في النظر
تملها لست تدري اي مذهلة تطيش بالعقل او تعشو على البصر
واي كف أليست تلك معجزة ضلت سبيل الهدى فيها رؤى الفكر
واي روح ألم تبصر حلاوتها في كل حرف من الآيات منسطر
في جرة الالف المتد قائمها وروعة الباء اذ مدت على قدر

ما للردى بيننا يختار أحسننا من الرجال ويجني أينع الثمر
تمتد عبر ظلام الليل زاحفة اكفه مثل لص في الدجى حذر
في حين نام فؤاد وارتمت كبد على المتاعب في جهد وفي خور
وأسلم الرجل الفنان خافقه لا يستلذ الى قصف ولا سمر
قد اثقلته هموم العيش في شجن واتعبته امور الناس في كدر
وحيث تنتفض الافكار مرعبة يقض مضجعها مس من الذعر
تحمل القلب مما ليس يحمله وشال اكثر مما اسطاع من خطر
قلوبنا لم تعد بالليل واثقة تصحو باوله تغفو لدى السحر
والليل آخر شوط من مسيرتها كانما كل قلب منه في سفر

ما للسماء وقد جادت بآيتها الارض يوما تريها اصدق العبر
عادت فمنت عليها بعدما وهبت كانما استكثرت فنا على البشر
تريده لجنان الخلد يتحفها بما يليق بها من رائع الصور
تريده ان يوشي البدر زخرفة بما يضيف موشاه على القمر
تريده للنجوم الزهر يسبغها لونا من الفن يزهيها على الدرر
تريده لمدار الشمس فاترة ان يغمس الريشة البيضاء في الشرر

لله كفك ما شدت اصابعها على اليراع ولمست جانب الظفر
واطفات بمسيل الحبر غلتها وعانقت باشتياق زرقة السطر
الا استحال اليراع العود عابقة تندى باروع ما قد فاح من زهر

وفتح الورق المبيض اعينه   احلى واجمل ما في العين من حور
وشعشع الحبر مما لم اسوده   بكل لون من الالوان مزدهر
لله كفك ما امتدت الى قلم   الا لتنفض عنه رعشة الخدر
عجبت للدهر ان يغتال صاحبها   ((ما بين طرفة عين)) او رؤى بصر

من للمساجد أن يختط حليتها   بمحزم بنطاق الفن مؤتزر
من للقباب اذا قامت قواعدها   ولم تجد حولها وشيا لمقتدر
من للمآذن لم تشمخ بقامتها   الا على رائع للخط مبتكر
من للكتاب كتاب .... من قلم   يعيده فوق حرف منه مندثر
من للمؤلف لو انهى مؤلفه   وراح يبحث للعنوان عن اطر
من للمواهب ، للطلاب من احد   يقيهم في دروب الفن من عثر

ما بين فنك او شعري مصاهرة   اقوى واعلق من لحن على وتر
كلاهما هو وحي من مشاعرنا   تمده نفحات من رؤى الفكر
والخط كالشعر لا وزن وقافية   وانما هو ...... في البشر
يبثها في اناس خير صفوته   من الانام ويعطيها الى نفر
في كل حرف تصب الروح مهجتها   وما يفيض الطفراء والطرر
ولست تعبأ ان طالت وان قصرت   حياتنا ، ان بعض الطول في القصر

يا خالق الحرف فنا انت مبدعه   كم لنا اضفت له من حسنه النضر
حملت عبء رسالات مخلدة   عبر المدى ، عبر ما في الدهر من عصر
رسالة ((لابن بواب)) وزمرته   ممن روى الناس عنهم اروع السير
يزهو التراث بها والفن مفخرة   ولن يكون لها صنو لمفتخر
رسالة هي وجه من حضارتنا   اذا تمايز بين البدو والحضر
يكاد يقرؤها من بات يجهلها   من الاعاجم فيما لاح من اثر
تشابكت كغصون الورد احرفها   في ظل زخرف فن فيه مشتجر

بغداد فيك ، وقد علقتها نسبا ،   تزهو باروع ما خلدت من غرر
عادت حزانى تلم اليوم من قطع   فيما تناثر من كفيك او كسر
في حين ظلت عن التكريم غافلة   والقوم في شغل عن كل مبتكر
كأنما الموت تحيي الفذ غيلته   فيما يمد له من فسحة العمر
ما نحن ((هاشم)) بوأناك خالدة   ان الخلود بما خلدت من اثر
أنت الذي قد صنعت المجد صنع يد   خلاقة وكسبت الحمد من صفر
يد وكم من يد لو رحت تقطعها   لكان اسلم ان تبقى على ضرر
وكم يد مدها فرد على صغر   ذليلة عن ضمير منه محتقر
وكم يد مدها باغ على صلف   من الاذى ليرينا بطش مقتدر
وكم يد تسرق الجوعان لقمته   بلا حياء ولا ستر لمستتر
شتان بين يد خلاقة ويد   مواتة فرق مولود ومحتضر
يد ستبقى وان لف الثرى جسدا   ممددا بين ثقل الترب والحفر
يخاف منها البلى ما مس راحتها   وما نضا قط عنها لمة الشعر
ففي غد لكان .... صافحها   اذا بعثنا الى أيامنا الاخر

بغداد ـ كلية الآداب   هادي الحمداني

اسكندر شلفون العالم الموسيقي والاديب الشاعر

بقلم الموسيقار سليم الحلو

* * *

ولد اسكندر الشلفون في القاهرة عام ١٨٨٢ من ابوين موسيقيين هاويين فكان ابوه بطرس الشلفون وهو لبناني الاصل ومن كبار موظفي وزارة المالية المصرية يجيد العزف على العود ، وامه لطيفة نعمة بارعة في التوقيع على آلتي القانون والعود ، ولاحظ بطرس في ولده اسكندر بوادر مواهب موسيقية تتلهب في نفسه وهو في الخامسة من عمره فشرع يعلمه القواعد والانغام والاغاني والمعزوفات ، ولم يبلغ السابعة من العمر حتى اصبح موضع اعجاب عشراء والده . وقد زار والده مرة (فريد باشا بابازوغلي) وهو من كبار الموسيقيين ، وكان اسكندر اذ ذاك في الثانية عشرة من عمره ، فابصره الباشا يعزف على الكمنجة برشاقة تفوق ما هو عليه من العمر ، فاندهش مما سمعه ، وقدم له كمنجة هدية ظلت في حوزته الى آخر عمره .

تحصيله السريع

تلقى مبادىء قراءة النوتة والصولفيج في مدرسة الفرير في (الخرنفش) حتى انه كان يفوز — ابتداء من التاسعة من عمره — بجائزة الموسيقى والعزف في الكمنجة في كل عام . وانكب على الدروس والتحصيل وتدرج في الرقي والمعرفة بسرعة هائلة .

وفي عام ١٩٠١ اسس جورج طنوسٌ صاحب جريدة « الرقيب » جمعية مجتمع التمثيل العصري ، وكان اسكندر ملحن رواياتها ومعلما للممثلين فيها ، كما كان يلحن الاغاني لغيرها من الجمعيات ويدون النوتة وهو في السابعة عشر من عمره الحان الشيخ سلامة حجازي كلما كلفه بتدوينها .

ولما بلغ الثامنة عشرة كان قد اتقن العزف على الكمان والعود والقانون . ولما كان يتقن العربية والفرنسية والانكليزية انخرط في سلك موظفي الحكومة في القاهرة ، وبعد مرور عشرين سنة استقال من وظيفته . وهنا ابتدأ جهاده الخطير في الموسيقى والادب فبرزت مواهبه في ما كان يؤلفه وينظمه ويلحنه من اغان وموسيقى وكتب وروايات حتى ذاع صيته وصار له منزلة رفيعة في عالمي الفن والادب ، وتجلى نبوغه ونال شهرة واسعة ، ولكنه رغم ذلك كله ، لم يكن ليحتل ما احرزه من شهرة ومكانة ، واستمر يناضل ويضحي في سبيل مثله الاعلى ورسالته الفنية .

مكانته العلمية والفنية

لم يولد في عصرنا هذا موسيقي يضاهي المرحوم اسكندر الشلفون في معلوماته الغزيرة وثقافته الوفيرة ، فقد كان وحده دائرة معارف في الموسيقى ، وكان بحاثة لا يشق له غبار في هذا الباب ، وعالم كبير متضلع في اسرار الالحان والاوزان العربية والتركية والفارسية وغيرها من الموسيقات بكاملها ، واعظم مؤرخ للموسيقى العربية ، واول من كتب في الناحية الموسيقية العلمية ، لانه كان ذا ثقافة واسعة في اللغتين الفرنسية والانكليزية ، وكان عبقريا في الموسيقى وثقافتها العامة ، يلحن ، ويؤلف ، ويحلل ، ويناقش ، وينتقد بحذق وصدق وتفوق ، وكان فوق هذا ذا مواهب ادبية نادرة ، فخصب ثقافته وتوقد ذهنه أهلاه لان يكون كاتبا شاعرا مترجما موسيقيا ، بل كان فذا في مواهبه يشع نبوغا ويفيض انتاجا راقيا .

وتقديرا لمكانته العلمية انتخبه النادي الموسيقي الشرقي بالقاهرة الذي هو الآن معهد الموسيقى العربية عضوا في اللجنة الفنية عام ١٩١٤ فاستاذا اول فعضوا في مجلس الادارة لعامي ١٩١٤ و١٩١٥ . وبقي عضوا حتى سفره الى بيروت عام ١٩٣٢ ، كما كان مديرا فنيا لشركة اسطوانات كولومبيا التي سجل في اسطواناتها وفي سواها من الشركات طائفة من الحانه على آلة الكمان باسم (اسكندر الكمنجاتي) .

وابتكر اسلوبا سهلا لتدوين العلامات الموسيقية (النوتة) بالاحرف الهجائية يتعلمها التلميذ ببساطة ويحفظها بسرعة وبلا معلم ، وتمكن الطالب من الكتابة فيها بمدة وجيزة .

وقسم اصوات السلم الموسيقي العربي بطريقة رياضية علمية لم يسبقه اليها احد وقد دوناها في كتابنا « الموسوعة الموسيقية » المعد للطبع في هذه السنة .

وتعمق المرحوم اسكندر في دراسة كتب عربية واجنبية كثيرة تبحث في الموسيقى في جميع عصورها وبذلك اطلع على كل شاردة وواردة في قواعد واسرار الموسيقى وحذق فيها حتى اصبح علامة وحجة يرجع اليه في العلوم الموسيقية الشرقية على العموم والعربية على الخصوص .

وفي عام ١٩٣٢ انعقد المؤتمر الموسيقي العربي بالقاهرة ، وقد ضم نخبة من اساطين الموسيقى في العالم الذين يعنون في الموسيقى الشرقية او يمارسونها من

● راجع « الاديب » عدد يناير ١٩٦٩ صفحة ٢ مقال نقولا يوسف « اسكندر شلفون موسيقار واديب منسي » .

شرقيين وعربيين ، وليس من شك في ان معظم الموسيقيين العرب في ذلك المؤتمر ، قد استقوا معلوماتهم الفنية من مؤلفات اسكندر الشلفون وبحوثه العلمية الممتعة في مجلته « روضة البلابل » فكانت لهم المورد العذب ومصدر الهام ينهلون منه ما يشاؤون ، ولم يكن اسكندر في المؤتمر يومئذ بل في بيروت ، والا لكان له المركز الرفيع ولادهش علماء الموسيقى بسعة اطلاعه وغزارة معلوماته . على انه حسبه فخرا انه المرجع الوحيد قبل وفاته وبعدها ، واحد المراجع الوثيقة وسيظل كذلك الى الابد .

اما اسلوبه الخاص في تحليل الانغام الشرقية فهو نسيج وحده لم يتوصل الموسيقيون الى مثله ، اذ قد أمعن في درس النغمات وتحليلها وادلى بآراء خاصة كما صور طبائعها وشرح دواوينها بدقة متناهية ونظريات علمية صائبة .

وطبيعي ان يكون جميع الموسيقيين العرب في المؤتمر قد اقتبسوا بعضا من اسلوبه العلمي الخاص في تحليل المقامات والاوزان .

مجلة روضة البلابل

أسس في عام ١٩١٩ مدرسة ـ روضة البلابل الموسيقية ـ التي ابدلها باسم « المعهد الموسيقي المصري » فيما بعد . وفي عام ١٩٢٠ أنشأ مجلة « روضة البلابل » الموسيقية ، وكانت الوحيدة من نوعها ، صدرت نحو ثماني سنوات خدم بها الموسيقى العربية علما وفنا وتعليما وتأليفا وتلحينا خدمات جليلة ، فحرص على اظهار جمال الموسيقى العربية وحسناتها ومميزاتها وغناها وعظمتها .

وكان ينشر بقلمه في كل عدد طائفة من المقالات والبحوث الفنية والعلمية تحوي قواعد وتراكيب وصفات واساليب الموسيقى العربية فضلا عن تاريخها وتاريخ آلاتها والآلات الموسيقية عند الامم .

وكان احيانا يوقع مقالاته والحانه بتواقيع مستعارة منها « كردانس » وهو اسم اسكندر مع تقديم وتأخير حروفه ، وكان يضطلع وحده بتحرير مجلته ببراعة ومقدرة وغزارة في المعارف .

وقد تضمنت مجلته هذه معظم انتاجه فنشر فيها فصولا من كتاب الموسيقى (للفارابي) ، وكان ينشر فيها جميع مؤلفاته ثم يجمعها في كتب مستقلة ، وكان جريئا في آرائه نزيها في نقده مخلصا في مناقشته حرا في افكاره يقدر رجال الموسيقى فلا يجامل ولا يتسامح بالحق مما اوجد له كثير من الخصوم الذين عمدوا يكيدون له وللمجلة ويحاولون الحط من قدرها ، فصمد لهم وناقشهم وفند آراءهم وفضح جهلهم .

على ان الحسد الذي عاث في قلوب هؤلاء الخصوم لهذا المنافس الخطر جعلهم يتألبون عليه ويحاربونه . ولكنه بعد ان فضحهم واظهر عجزهم وافحمهم ، افهمهم بأنهم آفة الموسيقى العربية وشر لها وعالة عليها ، وقد كان يخرج من نضاله معهم دائما منتصرا .

مؤلفاته وتراجمه

ترجم عن الفرنسية بضع روايات تمثيلية منها : رواية معبد النيران . وكان ينظم اشعار أغانيه ويلحنها شأن قدماء الموسيقيين اليونانيين وبعض موسيقيي النهضة الحديثة كالشيخ ابي خليل القباني ، وكامل الخلعي ، والشيخ سيد درويش ، والشيخ درويش الحريري .

الف عدة كتب في العلوم الموسيقية منها : الموسيقى . العود . العلامات الموسيقية . تاريخ الموسيقى ، تاريخ المدرج الموسيقي Portée Musical ، واسماء مفاتيحه ـ صول ـ فا ـ دو ـ ذاكرا مصدر اسماء العلامات السبعة وترجمتها من اللاتينية الى العربية واصل هذه الاسماء التي هي : دو ري مي فا الى آخره ، المتخذة من انشودة مار يوحنا وتاريخ تطورها وذكر اسم الراهب (غي دار وتزو) مبتكرها ، وترجم عن الفرنسية كتاب وصف مصر تأليف (فيلوتو) الذي الفه في عهد الاحتلال الفرنسي لمصر بأمر نابليون ، ونشر هذا الكتاب في مجلته متسلسلا ولكنه اقتصر على ترجمة ما يختص بتاريخ الآلات الموسيقية الشرقية ، واثبت الاصل الفرنسي ازاء الترجمة العربية مما يبرهن على تضلعه في الفرنسية وثقته بنفسه وجرأته في عمله ، وترجم عن الفرنسية ايضا القسم الاول من الموسيقى العربية من دائرة المعارف الفرنسية ، وقاموس المعهد تأليف « جول رووانيه » ونشره متسلسلا في مجلته ، وهو يشتمل على تاريخ الموسيقى العربية وقواعدها وتطورها وتراجم اعلامها القدامى ، وقد وجد فيها كثيرا من الاغلاط والهفوات ، فذيلها في الحاشية اذ عالجها بالرد والبحث والمناقشة والتعليق والتنقيح باسهاب استوجب ضعفي الاصل الفرنسي ، ويضاهيه ان لم يفوقه في البراعة والاستقراء ودقة البحث وعمق التفكير وصحة المصادر ، مما يدل على اطلاع وافر وعلم غزير ونبوغ في العلوم الموسيقية العربية التي عد فيها اعظم عالم في البلاد العربية . وقد بعث بهذه الترجمة المنقحة الى المعهد العالمي الفرنسي في باريس ففاز بموافقة المسيو « البير لافينياك » واعجابه .

والف اوبرا « السبايا » شعرا ولحنا ، وساهم مع البارون « رودولف درلجنيه » في ترجمة القسم الموسيقي من كتاب « الفارابي » .

وفي عام ١٩٢٣ رفع الى وزير المعارف بالقاهرة تقريرا في الموسيقى المصرية ضمنه آراءه في نظام التعليم الموسيقي في مدارس الحكومة ، فاجابه الوزير برسالة شكر وتقدير ووعده بتنفيذه .

ومن امتع مقالاته الادبية « يا ليل يا عين » اوضح فيها ما يعنيه المغني في تكراره لياليه واسترساله في مناجاة الليل ، وحلل ذلك وصوره باسلوب نثري انيق وعبارات رشيقة وبيان اخاذ ينبض بالشعور العميق والافكار الفلسفية ، حتى غدا هذا المقال تحفة فنية رائعة تذكرنا بمقال جبران خليل جبران « ايها الليل » .

من انفس بحوثه في العلوم الموسيقية (اقيسة مسافات اصوات السلم الموسيقي الشرقي الطبيعي الذي سماه (طونومتر) ثم تحليل الموازين الموسيقية والسلم الموسيقي الفرنجي (المعدل) ، الذي اطلق عليه اسم الديوان (الملفق) بدلا من (الموفق) .

وقد خلف بعد وفاته مخطوطات قيمة عديدة في الثقافة الموسيقية العامة منها : الاغاني والموسيقى . قاموس الموسيقى ، مذكراته اليومية. ديوان شارل القرم الذي ترجمه شعرا ولحنا . ومخطوطات متنوعة في علوم الموسيقى ، وكتب شعرية وادبية والحان موسيقية مدونة بالنوتة .

وقد عرض المرحوم الاستاذ جبران التويني وزير المعارف اللبنانية سابقا ٥٠٠ ليرة مكافئة لمن يجد كتابا فقد من كتبه ، اذ كان ينوي ان يطبعه على نفقته ، وهذا التراث الضخم الذي تركه اسكندر الشلفون ، تبعثر كله واختفى ، اذ امتدت اليه يد اثيمة واختلسته ، وذلك في اليوم الذي فتحوا فيه رسميا غرفته المتواضعة لحصر موجوداتها ، حيث لم يعثروا الا على صندوق كتب عليه (مهملات) .

تآليفه الموسيقية

كان المرحوم اسكندر يجيد العزف على عدة آلات موسيقية ـ كما ذكرنا في بداية المقال ـ وقد الف في علومها كتبا . ولحن كثيرا من المقطوعات الموسيقية والاناشيد الوطنية ، والاغاني القومية والاجتماعية والوصفية ، وحارب الاغاني الساقطة ، والطقاطيق المبتذلة ، وحث بمقالاته على اعتناق الموسيقى الراقية والابتعاد عن الخلط والمزج والتقليد ، وكان يفوز في جميع المباريات الموسيقية التي يساهم فيها .

ومن الحانه الفائزة : نشيد املكي يا مصر . ليحيى الملك . مارش فؤاد الاول . توشيح ايها الساقي . اما موشحاته وادواره : كل بدر لاح . لي حبيب . رايح لمين. قصيدة ايها القمر المطل . تغاريده : الليلة اقابل محبوبي. يا زهرة الازهار . يا عيون حبيبي . الحظ في يد القدر . موشحة : طلع البدر علينا من ثنيات الوداع . نشيد مصر الاعظم . نشيد المقطم .

اما قطعه الموسيقية الآلية فهي : حب الوطن . صوت من وراء الاجيال . بشرف عجم. بشرف جهاركاه. بشرف نكريز . بشرف حبا . بشرف حجازكار . سماعي بياتي . سماعي سوزناك . سماعي راست . سماعي حجاز كاركرد . سماعي عجم .

هذا فضلا عن مارشاته واستهلالاته ، ودواليبه ، وموسيقاه الوصفية .

رحلاته

سافر في عام ١٩٢٨ الى تونس واحيا فيها حفلات موسيقية ، والقى فيها محاضرات فنية ، فحاز على تقدير باي تونس الذي منحه الوسام التونسي من الدرجة الاولى ، ثم عاد الى القاهرة ، ولم يلبث ان سافر مرة اخرى الى باريس وذلك عام ١٩٣٠ فزار الكونسرفتوار الموسيقي الفرنسي ، وباحث الموسيقيين وناقشهم في قواعد الموسيقى العربية وفنونها فبهرهم بوفرة معلوماته وسعة اطلاعه . وبعد عودته من باريس تعرف الى (سوسن) فراقه ما تتحلى به من موهبة موسيقية فاذا به يخصها بعنايته ويلقنها الفن حتى غدت مطربة معروفة تذيع بالراديو معظم ما تغنيه من انتاجه ، ثم رافقته الى بيروت عام ١٩٣٢ .

المأساة

احيى المرحوم اسكندر فور وصوله الى لبنان وسوريا بضع حفلات مترقبا ان يلاقي من الموسيقيين والشعب والحكومة ما يستحقه من التقدير ، ولكنه لقي من الاجحاف وعدم المبالاة ما حز في نفسه مما لم يخطر له ببال ، كما راعه ما نسجه الموسيقيون حوله من المكايد والدسائس لشدة حسدهم وغيرتهم منه ، لانهم ادركوا اي رجل انتصب امامهم فخافوه وخشوا ان ينكشف عجزهم ويفضح جهلهم ويزاحمهم في عيشهم .

ولكن اسكندر بدلا من ان يحترس منهم ومن مكائدهم لم يأبه لما كان يبدو منهم لان نفسه النبيلة وخلقه السمح ارفع من ان يكترث لصغائرهم ، ولكن ثمة رجل نبيل هو مدير الكونسرفتوار الوطني في بيروت المرحوم وديع صبرا كان يدرك اي عبقري كان اسكندر الشلفون ، فأحاطه بتقديره عندما علم بما يعانيه زميله من ضروب الجحود والاجحاف فقام يبذل جهده لتعيينه استاذا في معهده كي يستفيد الطلبة والبلاد من علمه ومواهبه النادرة ، وذلك بمرتب ضئيل . غير ان اسبابا ما زالت خفية الى الآن حالت دون تعيينه ، فدل هذا على قسط النوابغ من تقدير بلادهم .. فدهش وديع صبرا لهذه الصدمة المؤلمة والتقدير المعكوس فوجم وزرف دمعة حارة على شهداء النبوغ يدفنون احياء .

واذا ببسمة مفجعة ترتسم على شفتي اسكندر المرتعشتين وتمتد يده المرتجفة فتلتقط من على راسه اكليل المجد ومن على صدره (الوسام) وتقذف بهما الى الارض بيأس منسحق .

واذ هو كذلك ترهقه الآلام النفسية .. انهار عليه مقهى ـ كوكب الشرق ـ في بيروت يوم ١٤ اذار سنة ١٩٣٤ فقضى تحت انقاضه عن ثلاث وخمسين سنة شهيد ظلم المجتمع البشري وجشعه ، واستراح من جهل الانسان ولؤمه وطمعه .

لم يشيع نعشه المتواضع سوى حفنة من تلامذته المخلصين دامعي العين دامي القلب على العلم والنبوغ بداسا ويدفنا بينما اصبح الذين حاربوه وقتلوه من النكرات وقد اختفت اسماؤهم وطواها العدم .. تألق اسم اسكندر الشلفون بأحرف نورانية في سجل المجد والخلود بطلا من ابطال المعرفة والعبقرية الخالدين .

سليم الحلو



هكذا نحن

لفقيد الشعر فارس سعد

●

ذكرتنيه في حلاه الغوالي ... مترف الزهو مسرفا في التعالي
صورة منه في جداري مرآة ... لأخرى تمثلت في خيالي
لهفي نفسي من الشباب عليه ... انا أرثي من حالتيه لحالي
سامني السهد شامخا وشجاني ... آخذا في تهدمي وانحلالي
حرقة فقده بقلبي كانت ... وهو عندي تحرقا للجمال

قارب العمر ليس غير بقايا ... منه شدت بواهن الآمال
هيئي للنزول يا نفس انا ... قد تعبنا من غربة وارتحال
ها هنا شطنا قربنا اليه ... هل تذكرت ضاحكات الليالي
كم لعبنا مع الرياح عليه ... وخططنا العابنا بالرمال
نحن رمل غدا سنلهو مع الريح ونمضي في ركبها المتوالي
ليس غير الرياح تحنو علينا ... لاعبات مع الرمام البوالي
ليت شعري من ذا سيخطو علينا ... جنبيني يا ريح وطأ النعال
جنبيني ، فما تعلقت بالاذيال ... عمري ، مساحب الاذيال

أنا خدن لعلياء بي لا تسفي ... وارفعيني الى رؤوس الاعالي
واسفعي بي الوجوه ان تسفعيها ... غضة الحسن زاهيات الدلال
لي عند الجمال ثأر ، فقلبي ... عالقا عاش في شباك الجمال
وارفقي بي يا ريح ، لا يقذفني ... عاصف منك للقفار الخوالي
واتركيني في الشط ألهو وتلهو ... بي عليه أصابع الاطفال
ما عليها ان شكلتني كما شاءت وعادت فخربت أشكالي
ان بنتني تمثال طين رأته ... لم يرقها فهدمت تمثالي
ذاك شاني مع الحياة وجودي ... من يديها ومن يديها زوالي
عامل الطينة التي كونتني ... عامل في تفتتي وانهيالي
لا تلومي الصغار تهدم ما تبني ... يداها من لوثة الاوحال
هكذا نحن في أصابع دنيا ... تتلهى بلعبة الصلصال

فارس سعد

الشعر في الكوفة

منذ اواسط القرن الثاني حتى نهاية القرن الثالث

بقلم محمد حسين الاعرجي

* * *

للكوفة اهمية كبيرة (١) في تأريخنا الادبي والفكري ، وحسبها ان توصف هي والبصرة بالعراقين فتدلان على العراق بكل ما له من حضارة وادب وفكر . ومن الظلم الفادح ان تدرس بغداد او سامراء دون التنبه الى رافديهما الكبيرين : البصرة والكوفة ، واذ يكون زميلي السيد احمد النجدي قد وفى البصرة حقها كان لي ان ارحب باقتراح استاذي الفاضل الدكتور علي جواد الطاهر بدراسة شعر الكوفة في القرن الثالث .

وقد كنت ازمعت ان تكون دراستي منصبة على القرن الثالث وحده ، وشرعت في جمع المادة على اساس من هذا ، الا انني وجدت جذور دراستي متصلة بأواسط القرن الثاني ، فكان ان جعلت عنوان البحث : « الشعر في الكوفة منذ اواسط القرن الثاني حتى نهاية القرن الثالث » .

واذ استوت المادة خالجتني ـ اول الامر ـ رغبة في ان تكون خطة البحث موزعة على ابواب وفصول ، فمنعني من ذلك ما خشيته من ضياع الاتجاهات الجديدة فيها ، وما خفته على البحث من تعسف في احتوائها اياه . فرايت ان اوزع البحث على فصول تسعة تعنى بالاتجاهات الجديدة ، والاتجاهات التي تعد استمرارا لما ظهر في النصف الاول من القرن الثاني . فبدأت البحث بتمهيد مناسب لا يعنى بالتفصيلات كثيرا ، لان الحقبة مدروسة ، ولا يأخذ ما ليس لصيقا بالبحث ، وعرضت فيه الى اضطراب الحياة السياسية في الدولة بصورة عامة ، والى اضطرابها في الكوفة بصورة خاصة لكونها مركز المعارضة . ثم عرضت الى الحياة الاجتماعية وما سادها من تباين طبقي فرضته الحياة الاقتصادية ، واشرت في حياتها العقلية الى جدبها في مجالي اللغة والنحو خلال هذه الحقبة بحكم هجرة علمائها الى بغداد ، والى ثرائها في الشعر والادب بحكم اهتمامها بالرواية ، والى خصبها في مجالي الحديث والاثر بحكم كونها مصرا شيعيا يهتم بالحياة المذهبية اهتماما كبيرا بفعل الاضهاد التي تعانيه جراء ثوراتها .

واذ درست الاتجاهات الشعرية رتبتها حسب اهميتها في حياة الكوفة . فدرست في الفصل الاول شعر السياسة والعقيدة مستعرضا وجوه شعر السياسة من حجاج مع العباسيين مرة وتعريض بهم مرة اخرى لاخلص من هذا الى خطل الراي القائل : ان شعر السياسة بدا يخلي مكانه منذ نهاية القرن الثاني الى شعر العقيدة . ثم درست شعر العقيدة ـ وجله شيعي ـ مشيرا الى اتجاهاته من مفاضلة بين الصحابة وتغن بمآثر آل البيت وما الى ذلك .

وفي الفصل الثاني درست شعر الشكوى مقسما اياه الى شكوى خاصة تعنى بهموم الفرد وما يعانيه من مشكلات ذاتية كالشيب والكبر والفقر ... والى شكوى عامة تهتم بحياة الكوفة بما فيها من جو سياسي ملتهب ، وحياة اقتصادية مضطربة مشيرا الى طلائع شعر الكدية فيها بفعل محاربة العباسيين اياها .

ثم درست في الفصل الثالث شعر السخرية مفرقا بينه وبين الهجاء ، مشيرا الى اسباب ظهوره ، مقسما اياه الى سخرية اجتماعية تهتم بمناحي الحياة الاجتماعية في الكوفة وما يكتنفها من مفاهيم ، وتقاليد ، والى سخرية سياسية تمد طرفها الى بغداد تسخر بالحاكمين من خلفاء ، ووزراء ، وقواد ، وكتاب .

وفي الفصل الرابع عرضت الى شعر السخف والمجون ، فحاولت في دراسة السخف ان ابحث عن جذوره مصطلحا فنيا ، وان افرق بينه وبين المجون ، وبينه وبين الهجاء ، ثم فصلت في اسباب شيوعه في الكوفة ، وفي اساليبه منتهيا الى ان هذا الشعر من جديد القرن الثالث وليس الرابع كما هو سائد عند الباحثين . ووقفت بعد هذا عند المجون مشيرا الى تاريخه في الكوفة ، متتبعا مظاهره من استخفاف بالدين وفرائضه مرة ، وخروج على آداب المجتمع مرة اخرى منبها الى خطل الرأي القائل : ان المجون قد خف بموت ابي نواس في نهاية القرن الثاني .

وعرضت في الفصل الخامس الى الخمريات والغزل والوصف ، فبدأت بدراسة الخمريات مناقشا محاولة الباحثين في الربط بين شيوع الخمرة وبين التشيع مهتما بدراسة فن جديد ظهر في شعر الخمريات على يد شعر الكوفة اعني به خمريات الاديرة . ثم عرضت الى الغزل مهتما بمحاولات التجديد فيه من غزل بالغلمان ، والاماء السود ، وابتعاده عن الحس في التصوير . ثم اشرت في الوصف الى اهتمامه بطبيعة الكوفة والطرديات والى اتجاهه نحو اللغز .

وفي الفصل السادس درست شعر الاخوانيات والحكم والوصايا والزهد ، متتبعا في الاخوانيات مظاهرها من تأكيد ود ، واستهداء ، ومداعبة ، وعيادة ... وفي

١ ـ نص الكلمة التي القاها الطالب بين يدي اللجنة المناقشة المؤلفة من الاستاذ (المشرف) الدكتور علي جواد الطاهر رئيسا ، والدكتور باقر عبد الغني عضوا والدكتور رزوق فرج رزوق عضوا للحصول على درجة الماجستير من جامعة بغداد .

الوصايا والزهد تأثير الحياة السياسية والمذهبية فيهما.

ثم عقدت الفصل السابع لدراسة الاغراض التقليدية من مديح وهجاء ورثاء وفخر منبها الى ضعف المديح في الكوفة بحكم انقطاع شعرائها عن الحاكمين والى اتجاهه نحو مديح المدن . ومشيرا في الهجاء الى تأثير السخرية فيه بحيث افقدته هيبته « غرضا رسميا » ، والى اتجاهه نحو هجاء المدن والطبقات الواطئة التي لم تكن تقصد بهجاء او مديح من قبل . وفي الرثاء الى اتجاهه صوب رثاء المدن وبعض اعضاء الجسم ، وفي الفخر الى اهتمامه بالجراة والشجاعة وما اليهما مما يهم بيئة معارضة مثل الكوفة .

وقد كنت أقف خلال هذه الفصول ولدى نهاياتها وقفات فنية اتبين فيها الخصائص الغالبة على هذا الاتجاه او ذاك ، ولكن هذه الوقفات بما لها من خصوص كانت محدودة فعمدت الى عقد الفصل الثامن للخصائص الفنية. درست فيه لغة الشعر ، وصنعته ، واوزانه وقوافيه .

وكان مما يلفت نظري خلال هذه الفصول ما اراه من هيمنة الحياتين السياسية والمذهبية على حياة الكوفة بحيث اجتمعت لدي في هذه الفصول مادة لها علاقة بهذا الفصل او ذاك ولكنها في العموم بعيدة عنه . فعمدت الى عزل هذه المادة ودراستها في الفصل التاسع . وفي هذا الفصل درست شخصية الكوفة كما ظهرت لي من خلال دراستي ، وكان عماد هذه الشخصية الحياة السياسية بما فيها من صراع مذهبي .

ثم اعقبت هذا الفصل بخاتمة أشرت فيها اهمية البحث وما توصل اليه من جديد ، واعقبتها بملحق اسميته معجم الشعراء ، ترجمت فيه لشعراء الكوفة خلال هذه الحقبة — لانهم مغمورون — واشرت الى مصادر اخبارهم واشعارهم .

وفي مثل هذا البحث يكون من البديهي ان نؤكد الدعوة الى دراسة شعر الامصار ، وعدم الركون كليا الى النتائج التي يقود اليها البحث في شعر مركز الخلافة بغداد او سامراء ممثلا باعلامه الكبار كأبي تمام والبحتري وابن المعتز وابن الرومي .

كما ان من حقنا وقد درسنا الكوفة ان نقول : انها بقيت حية لم تمت بتأسيس بغداد — كما هو سائد عند الباحثين المعاصرين وبينهم من تجرد لدراسة شعر الكوفة — وانها ظلت تؤثر في شعراء بغداد انفسهم . وآية ذلك ما نراه من شيوع الاتجاهات الجديدة في بغداد من شكوى ، وسخرية ، وسخف ، واخوانيات خلال القرن الرابع ، مما جعل الدارسين يعدون هذه الاتجاهات من جديد ذلك القرن غير متنبهين الى جذورها في الكوفة خلال الحقبة التي درسناها .

واذ تكتمل مثل هذه الدراسات يكون من الدقة ان نعيد كتابة تأريخ الادب العربي خلال هذه الحقبة — في الاقل — على اساس من النظرة الشاملة التي تهتم بالكوفة قدر اهتمامها ببغداد ، وتستنطق شعر البصرة او خراسان مثل استنطاقها شعر سامراء . بل اننا نعتقد بضرورة دراسة شعر بغداد على اساس فرز ما هو طارىء عليها مما هو اصيل فيها خلال القرن الثالث ، وعلى اساس الاهتمام بشعرائها المغمورين قبل المشهورين .

وبعد فلست بمدل على البحث بالجهد الذي بذلته فيه ، فقد كان رائدي فيه ان اصل الى ما هو اقرب الى الصواب او ما ظننته كذلك فان وفقت فتلك غايتي ، والا فحسبي اني اخلصت في المحاولة ، على انه قد يسر لي كثيرا من صعوباته استاذي الفاضل الدكتور علي جواد الطاهر فله الشكر الوافر والثناء الجزيل الماطر .

بغداد — كلية الاداب — محمد حسين الاعرجي

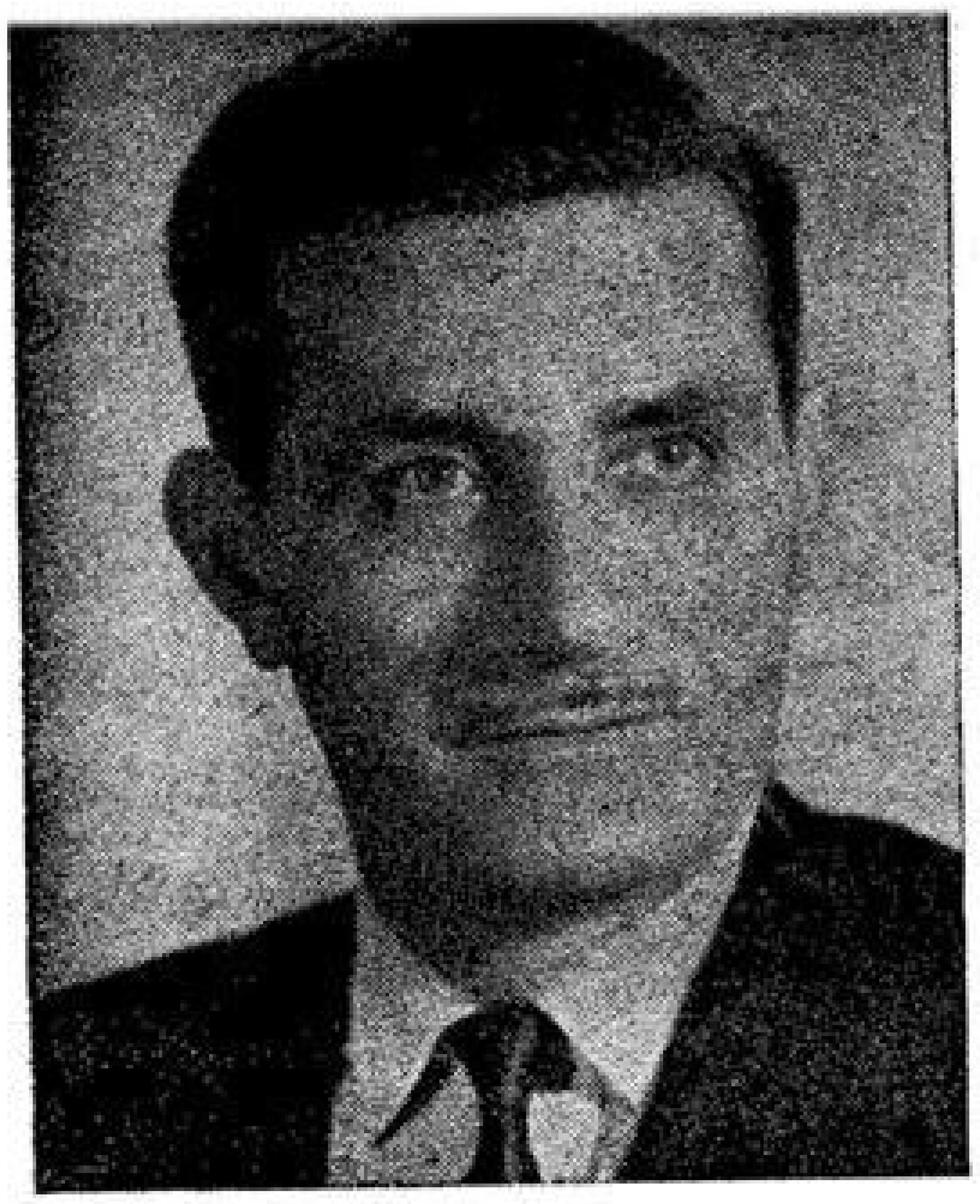
همسات

مهداة الى المطرب الفنان وديع الصافي

●

سألت عنك الليل اذ قيل لي :
الحب والاحلام في محفل
والعود مشدود الى ريشة
تنام بين السحر والانمل
والصوت أحلى من « دنانيره »
ورقة الانغام كالموصلي
فقلت طاب الانس في وصلنا
على سكون الليل في معزل
حتى نبث الشوق في خلسة
في أعين النرجس والجدول
ونسمع الآهات عند الضحى
في همسة العصفور والبلبل
فتشهد الايام من عمرنا
ما كان سحرا لغد مقبل
..... والذكرى بالوانها
تعود بالآمال كالاول
حيث طيوف الامس بعد الهوى
عرائس تزهو على مخمل

الكوت — العراق — كاظم محمد حسين



محمود الحسنيه

هل تتطور الفردية بغير مجتمع ؟

بقلم محمود الحسنيه
امين سر جمعية المكتبات اللبنانية

•••

لا تستطيع علوم المنطق مهما ادعت القدرة ، ان تنفي وجود الاسس التي ترتكز عليها علاقة الفرد بالمجتمع ، ولا الروابط الاجتماعية التي تصل بين الافراد انفسهم .

فكما ان الرأي هو وحدة من مجموع الاراء ، فكذلك الفرد هو وحدة من مجموع المجتمع ، بالافراد الاقوياء تشتد عناصره ، وبالروابط الاجتماعية تتماسك اجزاؤه .

وما القوانين ، والنظم الاجتماعية ، التي تهيمن وتسود المجتمعات ، والمؤسسات العامة والخاصة ، سوى وسائل تنظم علاقة تلك الاجزاء بعضها ببعض ، تتعاون لتيسر الحاجات ، وتنمي الموارد والمواهب ، وتقوي الطاقات . وبدون هذه المشاركة الجماعية الناشطة تصبح الحياة تافهة وعديمة !..

ولا غرو فالمرء بحاجة لمن يرشده الى طريقة معالجة مشكلاته الخاصة ، والعامة ، ومعرفة طبيعتها ، والى حل معضلات المجموعات التي ترتبط بها ، بطريقة مباشرة وغير مباشرة ، على اسس ترتكز عليها قواعد العدالة الاجتماعية ، فالفرد كائن اجتماعي يحيا بتعاضد الافراد والفة المجتمعات ، يأنس للروابط الوثيقة التي تشده الى هذه المؤسسات ، ويغتبط كلما مارس فيها حقا وقام بنشاط او بواجب .

وبديهي ان هذا التعاون يزيده قوة وفعالية ، ويكسبه طاقة وجهدا يدفعان به باستمرار الى كل ما يؤول الى السعة والرفاهية ... اذ ليس الفرد شيئا معطيا جاهزا قائما بذاته ، فالترتيبات الاجتماعية والقوانين والمؤسسات التي اقيمت من اجل الانسان كلها وسائل وعوامل خيرة لخلق الافراد وتنشئتهم ... لان الفردية في معناها الاجتماعي شيء يصنع، يقبل التطور بالاختبار، وبالسلوك ... والاصلاح يبدأ بالفرد ، على يد المؤسسات الخاصة والعامة ، في محاولات تشمل تدعيم الاخلاق ، واصلاح الاحوال الاقتصادية والسياسية والاجتماعية .

وكلما تكررت هذه المحاولات واتسعت رقعتها على الافراد كلما اتضحت نتائجها الايجابية وغاياتها النبيلة ..

وللحياة الاجتماعية اشياء متممة لا حصر لها ولا عد ، تكتشف معالمها المؤسسات عندما ينضم بعضها الى بعض ، فتتوافر قوى المعرفة ، وتتضافر الجهود ، وتتكامل الامكانات ، وتتفاعل ، لتولد الطمأنينة ، وتشيع معها العدالة .

وهكذا يتضح ان الفردية حركة ، تعمل بتفاعل مستمر تستهدف حسن النوعية وغزارة الانتاج ، يوجهها العقل الى الاجتماع ، والفن ، والمعرفة ، والسياسة ، والاخلاق ، فتأتمر به وبسلطته كأنه قائد جوقة موسيقية ، فهو لا يعزف ، ولكنه يعمل على ايجاد التوازن والتوافق بينها ، يجهز الخير وينشره بين الناس بمشاركة اجتماعية ، يأبى الا ان يكون النفع عاما ، فيحاول تأمين وصوله الى اكبر عدد ممكن من الافراد ... اذ ليس المجتمع غاية ، ولكنه وسيلة ، ينهض بالجماعة على يد المؤسسات ، والاندية ، والمنظمات ، ويعمل على الاتصال الناجع فيما بينها ، اذ لولا انتقال الخبرة الى الانسان لبقي مخلوقا اعجم ، غلبت عليه الوحشية ؟...

ففي ظل المجتمعات عرف الانسان وسائل التطور وتذوق الحرية ، ومارس الواجبات ، واكتسب الحقوق ، فتشبث بها جميعا ، واقام لها حرمة يدافع عنها كلما حصل لها تغيير وتبديل .

ومن العبث ان نتصور الحقوق والواجبات والحرية بكل معانيها تؤدي ادوارها الايجابية بغير الشؤون والمصالح الاجتماعية، وبغير تضامن، يحقق الانتصار على الشوائب، ويقضي على ادران المجتمع بهيمنة العقل الناضج ، فالحياة العائلية كما نظر اليها هيجل (اول شكل منظم من اشكال الحرية) يقوي هذا الشكل اذا عبأت قواه العاملة ، وشدت اواصره جميع الافراد ، بتفجير طاقات مولدة خيرة ، تعمل حرة في جميع حقول الانسانية ... والحرية هي راس الخيرات للامة في تعبير اناتول فرانس ، يجب صيانتها كي لا يعرقل سيرها اضطراب يعكس النتائج الايجابية ، ويمنع المواهب من ان تنجلي وتكتشف

شبين الكوم

الى ذلك المتنزه الذي يتجرع النيل على صفحيه درج وابتهاج

سرح الطرف في الروائع حينا ... ان للطرف مسرحا في ((شبينا))
وقف النيل وهو يجري فحيا ... ها ، وقال : السلام يا ساكنينا
ثم مد الذراع يلثم أرضا ... طهرت تربة ، وادنى جبينا
فسقاها حلوا ، وسار سخيا ... يتهادى في الضفتين رصينا
لغة للضفاف تنشىء فجرا ... عبقريا ، وفي المساء لحونا
وحوار جم الاناقة يمضي ... في شفاه توسوس القول لينا

أيها النيل ! قل من السر سيئا ... واكتم البعض ، ان كتمت ثمينا
انها قدرة لديك تعالت ... في اتضاع ، فهل ترى الخير دينا
تهب الامن والصفاء وتلقى ... أثر الامن والصفاء مصونا
بكر الناس يملئون جرارا ... فتغنوا لما رأوك فتونا
وأقاموا على ضفافك حبا ... يغسلون الثياب او يقطفونا
سمعوا ... فيك يملأ كونا ... ببيان ـ وقد هدرت مبينا
رب ... في الماء يهدي قلوبا ... واخضرار في الارض يهدي العيونا

وظلال أمضي بها في بكور ... او مساء ضاهى البكور فنونا
مجلس فوقه الغصون تآخت ... وثرى كان بالغصون قمينا
يشتهي الشعر ان يكون لديه ... شاهدا او مؤرخا او معينا
ليت شعري يا ملهم القول ماذا ... صانع انت بالجمال شئونا
لم تكن عندك البدائع الا ... ان تسيل اليراع حتى تكونا
هانت المعجزات تحت مداد ... ينفث المعجزات الا ظنونا
قل لهم في الجمال قولة حق ... ذهب الحق للجمال مدينا
ملكوت في كل ارض وعرش ... لم يزل كلما استطال مكينا

طرابلس ـ لبنان ... سليم الرافعي

عن اصالتها .

لذا اتجهت المبادىء الاجتماعية نحوها فاقامت دعائم الحرية وشرعة الحقوق ، وافسحت المجال للجماعات من ان تكيف اعمالها وتمارس مسؤولياتها وفق ما لها من معطيات في المعرفة ومقومات في التربية .

وقد اكدت الحقيقة الديموقراطية في جميع انواع المجتمعات من ان الطبيعة البشرية لا تتدرج نحو الرقي الا اذا اشترك في توجيه هذا الدفع الحضاري اكبر عدد ممكن من الافراد ، والمؤسسات الاجتماعية ، في حركة طوعية تندفع من القاعدة .

وهذا ما يجعل الآراء والمعرفة والمعتقدات تنتقل على اسس اخلاقية من شخص الى آخر دون ان تلون الخيال وتصبغه وفق مزاج معين ، او تضطره بأن يحيا حياة الزامية متهيبة .

فالعلم الحديث زود الانسان بكل خبرة ، وعرفه بأن التقدم جماعي ، والناس كالذرات لا تظهر قيمتها الا في علاقتها بغيرها .

محمود الحسنيه

الى ابي

بمناسبة مرور اربعين يوما على وفاته (١) .

●

هجرت القوافي .. هل أطيل المراثيا ... ولم أر شعرا في رثائك وافيا

لئن ذكر الفضل الجميل وأهله ... لعمرك كنت الخير في الناس ساريا

أتيت من الاعمال ما لو أقله ... أتاه سواك اليوم عد عصاميا

واني لأفدي الطيب يطوى بحفرة ... وأشفق .. صخر القبر يؤذيك قاسيا

وكنت أبا للناس تلاءم جرحهم ... وكنت عليهم في المصائب حانيا

صحبتك أعواما تشد عزائمي ... وتخلقني خلقا حميدا مداريا

وتدفعني اما عثرت مشجعا ... وتمنحني نفحات قلبك راضيا

ولما سلكت الدرب دربك مؤمنا ... وخلفت أحلام الشباب ورائيا

حمدت طريقي في الحياة مكافحا ... وباركت سعيي مطريا وجهاديا

ابي كنت لي نعم الصديق أجله ... وكنت على مر الحياة مثاليا

سقى الله أياما تصرم عهدها ... وعيشا لنا في (حمص) قد كان هانيا

تطالعنا الاصباح بالرغد باسما ... ويجمعنا ليل المحبة ساجيا

فنرفل بالاطياب والجمع شامل ... ونجرع من خمر المودة صافيا

ولكن هي الدنيا سرور ودمعة ... وبينهما تلقى الزمان المداجيا

فبينا نرجي الدهر خيرا اذا بنا ... نقاسي من الايام ما كان خافيا

مررت بأهل الدار علي اراكم ... واذ بجمال الدار قد بات ذاويا

وأظلم ذاك الركن اذ غاب بدره ... وكان مشعا بالمحامد زاهيا

فلم تسمع الآذان صوت حديثكم ... وخيم صمت الموت .. كم كان عاتيا

أبي ... لم أزل ألقاك طيفا مجسدا ... يهدهد أحلامي ويحدو خياليا

يزين لي معنى الحياة محببا ... فارخص من أجل الحياة حياتيا

يسائلني الاصحاب عنك عشية ... فاخفض طرفي لا أبين جوابيا

وكيف أقول : الموت غيب وجهه ... وأنت بقلب الناس ما زلت باقيا

فيا ديمة الرحمن جودي بصيب ... يبلل قبرا في فؤادي ثاويا

ويا دمعة (الميماس) سقيا لراحل ... ويا شجر الصفصاف لا زلت باكيا

حمص — عبدو مسوح

---

١ ــ الفقيد « موسى مسوح » عميد اسرة آل مسوح في حمص .

قصة

الكلمات .. الصمت

بقلم السيدة ضياء قصبجي

لاول مرة ، بعد ان تزوج منذ سنة ، يبقى وحيدا . كان يفضل الصمت والوحدة ، لكن ما في راسه ، وافر الثرثرة .

لم يسهر في اي مقهى ، فهو يعتبر المقهى ، كالمدجنة الاصطناعية، يتواجد فيها الرجال ويبيضون الاخبار .

لم يسهر عند صديقه ماجد ، لان ماجد لم يتزوج ، وما زال يطارد الفتيات الحلوات في الشوارع . وعندما يلتقيان يذكره بماضيه ، وبأسماء الفتيات اللواتي استهوينه .

وبما انه يفضل الصمت والوحدة فقد آثر ان يبقى في بيته .

الساعة السابعة مساء .. احتسى قهوته في الشرفة ، فكر في زوجته .. كم يحبها ؟ وكم تركت له من فراغ .. ؟ جالسته الذكرى ، مرت في نفسه بسعادة وانسياب ، ثم هرع الى غرفة النوم وبحث عن صورها ، قبل الصور بشوق ، وقال في نفسه : كم هي جذابة .. ؟

شيء ما .. غريب ،وغير مركز ، دعاه لان يبحث عن مفتاح خزانتها ، عثر عليه ، فتح الخزانة ، نفذت منها ذرات العطر ، احس بنشوة ، لمس اثوابها ، حرك المشاجب ،اخرج ذاك الثوب الابيض الطويل ... المزركش ، (ثوب الزفاف) .. من كل قلبه ، اراد لو كانت معه ترتدي له (ثوب العرس) ويقبلها .

اعاد الثوب الى مكانه ، لاحظ انه ينثني من الاسفل ، انحنى يسويه.. اصطدمت يده بصندوق راكن في الزاوية المعتمة . ادهشه وجود الصندوق ، اخرجه .. وجلس القرفصاء ، تحت الضوء .. قلبه كان يطرق ، فتحه بقسوة ، اخرج ما في داخله ، واذا هو دفتر ... كتبت صفحاته بخط قلمها ، عنوانه « مذكرات زوجة » . سر لذلك ، خاصة وهو يعلم انها تجيد الكتابة ولها محاولات في عالم القصة القصيرة .

قرأ في الصفحة الاولى :

١٥ تشرين الثاني ١٩٧١

اني داخل ثوب الزفاف .. وكأني لست انا ، تائهة ومشردة ، هذا احساسي .. الثواني التي تمر بي مملة ، ورتيبة ، ولذا ابتسم ، لاني لا احس بمعنى البسمة .

٣٠ تشرين الثاني

الانسان الذي اعيش معه (اي زوجي) طيب الى حد السذاجة ، فهو يحسب اني احبه مثلما يحبني هو ، ترى ؟؟ أليس له ماض .. ؟؟ وحبيبة غادرة ..؟

١ كانون الاول

يعاودني الحنين القاتل ، الى من احب ، فراغي النفسي لم يزل ، لم يملأه زوجي ، على الرغم من انه محترم .

لست ادري لماذا افزع ، اذا توقعت الحمل ، كأني لست مستقرة في حياتي ، اما زوجي فانه يداري حبه لطفل ، وانا اتجاهل .

٧ كانون الاول

اليوم كنت في كامل اناقتي .. اتأبط يد زوجي .. ونسير عبر الليل ، والنسمات الرطبة تداعبني اما القمر فكان معطاء للنور السحري حيث تظهر اوراق الشجر الرقيقة ، تتراقص على انغام الريح .

حتى هذه اللحظات الشاعرية .. لم توحدني مع زوجي ... بل ذكرتني بمشاويري الليلية مع من احب .

٢٠ كانون الاول

تعمدت زيارة صديقتي .. وفي لحظات خاطفة ، سألتها برجاء ، وقلبي يهتز كوتر تحركه ريشة عازف .. هل تزوج ؟ كانت قاسية ، قالت لي : وما يعنيك وانت قد تزوجت ؟ اتحسب ان قلبي قد مات ؟

٢٢ كانون الاول

بعد شفائي .. اهديت باقة ورد .. احببتها ، بحثت عن البطاقة والاسم ، وجدت اسم زوجي ولكن .. أليس من الغريب ان تكون الورود حمراء ، مثل تلك التي كان يرسلها الي من احب .؟

٢٣ كانون الاول

يبدو لي ان الحياة مريرة ... وامر ما فيها ، انتزاع الذكرى ،قتل الذكرى ، والرضوخ للواقع .. اكاد اكره نفسي .. تلك التي تقبض بقوة على شيء راح ..

٢٧ كانون الاول

اليوم سألني زوجي ... اتحبينني ؟ دون ان اشعر اجبته بنفس الجملة التي تعودت قولها لمن احب .. « فوق ما تتصور » ثم جلست .. أجتر آلامي .

١ كانون الثاني

احيانا احس اني مبتذلة ،وخائنة، اذ كيف احيا مع رجل وافكر في غيره ؟ ولكن متى كان الانسان يعاقب على مشاعره الصامتة .. ؟

٤ كانون الثاني

ادرت قرص الهاتف ، لاطلب من زوجي حاجيات الطعام ، فرد علي من كنت احب ، اغلقت السماعة . ليته يعلم .. اني بغير ارادتي ... قد ادرت نفس الارقام التي تعودت اصابعي على مكانها . وكأن اصابعي فار يدخل حجره دون تفكير .

يموت الليل ولا تموتين

انت ، يا حسانه ، حبي الاول الضائع
ابحث عنك في كل الوجوه
ابحث عنك في زحام الاقدام
وتترائين لي في كل بصيص ضوء
انت ، انت ، يـا حسانـه ...

انت ، انـت ...
ينام الليل ، ولا انـام
وابحث عنك في كل زاوية
وفي كـل طريـق
وانا اعلم ، مسبقا ، اني لن اجدك
بيت عذريتك اضعت عنوانه
وبيت زوجيتك لم احاول ، مرة ، ان اتعرف
عليـه .

لعلك ، يا حسانه ، انجبت اطفالا
وهم ، الآن ، بدفئك ينعمون
وانا ، انا يا حسانه ، افتقد الدفء في الشتاء
واشعر بقشعريرة الزمهرير ، في الصيف

وعدتك ، عندمـا افترقنـا
لآخر مرة ، اني سانتظرك ، بعد عشر
سنوات ، في نفس المكان ...
من يجرؤ على اعطاء مثل هذا الوعد ؟
ان الموت ينتظر الناس ليفترسهم في اية
لحظـة
ومع هذا تحديتـه
ولكني تخلفت عن الوفاء
هل تعرفين لماذا ؟
لظروف قاهـرة .

وها انا اكتب اليك اليوم
فهل ستصل اليك هذه الكلمة ؟
هـل ستقرئينها ؟
لست ادري .

حبنـا مـات .
ولكـن
يموت الليل ، ولا تموتين .

عادل الاعور

١٠ كانون الثاني

نعم .. احس انـي اضعف . وقواي تتلاشى . لم اعد احتمل .. بودي ان اخبر زوجي بأمري وقد يكون حديثي له بمثابة الاعتراف ، والتفريغ للماضي .. ومن ثم طلب العون والحل .. ولكن كيف اثق انه سيفهم . ولن يركب رأسه التفكير المتزمت .؟

٢٥ كانون الثاني

يقال ان السنين البعيدة ، ترسب في القاع ، ويعلوها الغبار والصدأ .. ولكن ذكرياتي تحتل القمة في حياتي .

★

لم يكمل قراءة المذكرات ، بل امسك جبينه ، واحس بالانفجار ، كل امر تحول الى نقيضه .. حتى نقاط الماء التي تقطر من (الحنفية) بدت له سما زعافا .

ذكر كل الحوادث التي شاهدها في السينما ــ او قراها في الروايات .. وقال في نفسه .. (الى متى نظل جبناء امام الحقائق ..؟ والى متى نظل نفاجـأ ، واشد الامور غرابة .. امر واقعي في حد ذاتـه) .. لم يستطع اقناع نفسه بطريقـة فلسفية .

فقد اعصابه.. راح يقول زوجتي بصوت مسموع وجريح . وتتحطم الصور الحلوة المزدحمة في مخيلتـه واحدة واحـدة .. زوجتـي ؟ يا للمصيبة ..

كان لا بد له من الدهشة القاتلة.

أحيانا تتحول النفس الى عصي تقارع بعضهـا بعضا .. وهـا هـو يتعذب ولا يعرف الحل . غدا تعود زوجته ، من مهمتها .. غدا تعود..

القتل .. الطلاق .. الهرب .. الثورة .. الصفح .. التجاهل .. ماذا ؟ وكيف يتصرف ؟

قرعت الجرس ، كـان ينتظرها خلف الباب .. فتح لها .. التقت عيناهما ، رمقهـا بنظـرة احتقـار ضئيلة ، نقلت لنفسها الهلع . لم يتعانقا .. احس بها بعيدة عنه كـل البعد .. عبدت هي الصمت ارتدى ثيابه وخرج من البيت .. زج نفسه في المقهى .. يتناقـل الاخبـار السقيمة ... خرج مـن المقهى .. ماتت في نفسه كل الرغبات .. قال لاصدقائه :

ــ مـا رأيكـم في الذهـاب الـى (الملهى) ؟؟ دهشوا فهـو المثالي ، المثقف .

وافق البعض .. رفض البعض.

كان من جملـة الذيـن ...... يصفقون لارخص راقصة .

حلب **ضياء قصبجي**



حارث طه الراوي

من ذكرياتي الادبية

بقلم حارث طه الراوي

* * *

مع احمد الصافي النجفي

في صباح اليوم العشرين من تموز ١٩٤٩ ركبت سيارة الاجرة المسماة ب (البوسطة) بلهجة أهل لبنان العامية ، متوجها من (بحمدون ـ المحطة) الى (بيروت) . وما كادت السيارة تطوي بضعة امتار حتى لمحت في مقهى ملهى (طانيوس) (١) رجلا يرتدي الكوفية والعقال ، يشبه الشاعر احمد الصافي النجفي ، كما رأيته في الصورة . فتلهفت الى التعرف اليه وطلبت من الجابي ان يخبر السائق بأن يوقف السيارة لانزل منها ! فسلط الجابي علي نظرة لا تخلو من الذهول والدهشة واعاد الاجرة الي ولسان حاله يقول : انا لله وانا اليه راجعون..

تركت الجابي يصارع ذهوله واتجهت بشوق متكاثر الى الرجل الذي يشبه الصافي في صوره المنشورة في الصحف . وحييته وسألته :

ـ هل انت شاعرنا احمد الصافي النجفي ؟

ـ أجل . ومن أنت ؟

ـ حارث طه الراوي .

ـ أهلا . أهلا . تفضل . تفضل اجلس .

كان الصافي منهمكا بنظم بيتين على احدى حواشي جريدة يومية ، وما كدت اجلس الى جواره حتى اتمهما. فطلبت منه ان يتلطف بتسجيل البيتين في دفتر مذكراتي الصغير ، فما تردد في تسجيلهما بعد ان قدم لهما بالمقدمة التالية :

« ما كدت انتهي من نظم هذين البيتين في مقهى بحمدون واسجلهما حتى طلع علي الشاب الاديب النجيب حارث الراوي غصن دوحة ابيه التي ملأت جنان الادب بأثمارها ، فكأن هذين البيتين كانا طليعة ورائد قدومه . وقد رغب الي ان اسجلهما له ذكرى لمعرفتنا ، وفقه الله لخدمة امته ووطنه وعروبته ودينه ، وهذان البيتان :

على المرء ان يسعى الى الفهم والحجى … وليس عليه ان يكون اخا فهم
لئن كنت عن نيل العلوم مقصرا … فما نالني التقصير عن طلب العلم

ولما علم الصافي بأنني كنت قاصدا بيروت قبل ان المحه واخف اليه ، سألني عن الوجهة التي اقصدها في بيروت ، فأخبرته بأني اقصد « بهيج عريضة » ـ ابن عم الشاعر المهجري نسيب عريضة ـ في محله بشارع « فوش » لعلني استطيع الحصول على نسخة من ديوان « الارواح الحائرة » من بهيج ومن ثم اتصل هاتفيا من عنده بميخائيل نعيمة حيث يقيم في « بسكنتا » .

وما كدت اذكر « ميخائيل نعيمة » حتى تغير الصافي وبدت على وجهه سمات الانزعاج وسألني :

ـ وماذا تريد من ميخائيل نعيمة ؟

ـ اريد ان اراه لاروي غليل اعجابي به ...

ـ اذا اجتمعت به فسيزول اعجابك به كما زال اعجاب غيرك !

فقلت له ، وكنت يومئذ في ذروة اعجابي بميخائيل:

ـ هيهات أن يزول اعجابي بميخائيل نعيمة .. فهو الاديب المجدد .. وهو الشاعر المحلق .. وهو الفيلسوف الذي يحيا فلسفته ... وهو الانساني الذي زهد بامجاد العالم وقنع بمجد الكلمة الحية المجنحة .. وهو .. وهو.

عندئذ روى لي الصافي النجفي كيف ان احد المعجبين بأدب نعيمة وفلسفته اراد ان يؤلف كتابا عنه ، فتجشم عناء السفر الى « بسكنتا » وتوقع ان يلقى من نعيمة منتهى اللطف والظرف ، الا انه ما كاد يقابله حتى مني بالخيبة المريرة ! فقد قابله نعيمة بشيء من التعالي وعدم الاكتراث ، فاضطر هذا المعجب الى العودة والخيبة تعصر فؤاده ، وعدل ، بطبيعة الحال ، عن كتابة الدراسة عن استاذه !..

وروى الصافي لي كيف ان نعيمة قطع ، ذات مرة، مياه السقي عن بعض مزارع بسكنتا عندما اختلف مع احد المزارعين !

وواصل انتقاده لنعيمة قائلا : ان نعيمة متصنع ، فقد حفر محبرة له في الصخر ! وانا افضل جبران عليه

١ ـ اصبح المقهى المذكور مع الملهى خبرا بعد عين ، وذلك بعد فتح الشارع الجديد .

لان جبران يتحدث بقلبه في حين ان نعيمة يتحدث بعقله.

ولكن الصافي اعترف بان ثقافة نعيمة اوسع من ثقافة جبران . وروى لي كيف انه ترجم احد مؤلفات جبران العربية الى الفارسية عندما كان مغتربا في ايران .

واخبرني الصافي ، بعد ذلك ان صديقه « خالد الدرة » ـ الاديب الصحفي النقادة الشهير ـ ينتظره الآن في « فندق مجاعص » المجاور للمقهى الذي كنا جالسين فيه وطلب مني ان اصطحبه في ذهابه الى الفندق المذكور ولما علم بأني لا اعرف خالدا وجها لوجه ، وعدني بأنه سيعارفنا .

وعرفني الصافي على الدرة الذي سررت بلقائه وسر بلقائي ، ودار الحديث عن نعيمة فأيد الدرة انطباعات صديقه الصافي عن ميخائيل نعيمة ، فلم اقتنع ، وكنت ـ كما قلت ـ في ذروة اعجابي بشخصية ميخائيل وادبه ، فاحتد الصافي وقال لي :

ـ انت طفل لا تعرف الناس . وستعرفهم يوما ما !

وبعد ان قضيت فترة ممتعة من وقتي بالقرب من الصافي والدرة ، ودعتهما وانصرفت الى بيروت ، وما دار بخلدي ان نقاشي مع الصافي حول ميخائيل نعيمة قد ازعجه واغضبه ، وانه سيقابل (الشاب الاديب النجيب حارث الراوي) في تموز ١٩٥١ بالطابق الارضي من مقهى ابي عفيف ببيروت وهو متجهم الوجه ، منقبض الاسارير ، يحاول ان يكبح جماح تجاهله وعدم اكتراثه فلا يفلح ! فسألته عن موضع مكتب « الاخطل الصغير » بشارة الخوري في نفس البناية وودعته وانصرفت الى بشارة ...

وتشاء الايام ان تزيد في الجفوة التي حصلت بين الصافي وبيني . فقد طلب مني الصديق « القديم » رياض طه صاحب مجلة « الاحد » البيروتية عندما زار بغداد سنة ١٩٥٣ ان اوافي مجلته بمقالات متتابعة عن « النشاط الفكري في العراق » . فذكرت في مقالي الاول (٢) تحت عنوان « ضجة حول اتهامات الصافي » نص الاتهامات التي اتهم بها الصافي الشعر العراقي الحديث في حديث دار بينه وبين الشيخ جلال الحنفي نشرته جريدة « الحارس » البغدادية لصاحبها الصحفي الاديب صبيح الغافقي . قال الصافي :

« انني مستاء من هذا الشعر ومتشائم من مستقبله في العراق ما دام الشعراء المحدثون قد اتجهوا في معانيه وجهة بعيدة عن العاطفة السليمة ، فلا ترى في معانيه الا الموت الذي لا روح فيه ، وما داموا قد ابتعدوا بأسلوبه عن الاسلوب العربي الرصين حيث صيروه أسلوبا مائعا مخنثا . وفي نفس الوقت فان بين اولئك الشعراء من اخذوا يخدمون بالشعر مصلحتهم الخاصة ، حيث بدأوا ينظمون في النواحي التي تجلب لهم اكبر عدد من المصفقين .. اما الشعر فلا يكون شعرا حتى تكون العاطفة هي التي تمليه وحدها » .

وقد استفزني اتهام الصافي هذا بصفتي من المساهمين ، بشكل من الاشكال ، في التجديد الشعري في العراق آنذاك ومن اوائل الذين نسجوا الشعر الحديث على منوال الشعر الحر في تلك الايام . فنشرت لي « الاحد » في عددها المشار اليه الرد المتطرف الطريف التالي الذي تطغى عليه اللجة الحقوقية ! فقد كنت آنذاك طالبا في « كلية الحقوق » :

« ان الاتهام الباطل الخارج عن حدود حسن النية والثقة المتبادلة بين الناس ، يصلح سندا لاتهام المدعي !

والمدعي شاعر عراقي يتهم اخوانه شعراء العراق بلا حجة دامغة ولا دليل مادي ، لهذا فان دعواه غير مسموعة في (محكمة الشعر العربي المعاصر) !

ومن اين يأتي المدعي بالحجة ، وقد حكم كبار نقاد العربية وشعرائها بأن شعراء العراق المعاصرين هم شعراء الطليعة . وقد صدرت هذه الاحكام من (محكمة التمييز الادبية) التي يكفي ان اذكر من اعضائها طه حسين والاخطل الصغير وميخائيل نعيمة .

أيستطيع الصافي النجفي ان يدحض حجج هؤلاء وامثالهم ؟ ـ هيهات ان يستطيع ولو اضاف عشرات القصائد الى قصائده التي هاجم فيها كبار النقاد في ديوانه « شرر » !

ولا ادري لماذا تنكر الصافي لاخوانه شعراء العراق؟ لانه يترنم في برجه العاجي وهم يصدحون للشعب بين احضانه ؟ ام لانهم لا يقدسون انفسهم كما يقدس الصافي نفسه ويشيد بعبقريتها ؟ أم يا ترى لانهم ادركوا ان للشاعر رسالة اصلاح ايجابي ، وهو الذي ينوح على اطلال سلبيته ؟ » .

كان هذا ردي عام ١٩٥٣ في مجلة « الاحد » على رأي الصافي في الشعر الحديث وشعرائه في العراق . وكان من البدهي ان يغضب الصافي ويحتدم . وقد لمست غضب شاعرنا عندما زرت الصديق البرت الريحاني في دار الريحاني للطباعة والنشر ببيروت صيف ١٩٥٦ ، وما كدت ادخل غرفته حتى هم الصافي بالخروج وانطلق بسرعة مذهلة ! وكان من جملة الحاضرين الصديق الاديب الشاعر وديع ديب الذي سألني وهو من الذهول في ذروة شاهقة :

ـ هل حصل ما يكدر بينك وبين الصافي ، فقد خرج الرجل بصورة غريبة على اثر دخولك ؟!

فذكرت له خلاصة جدلي معه حول ميخائيل نعيمة في تموز ١٩٤٩ . وما دار بخلدي ردي الصريح اللاذع

---

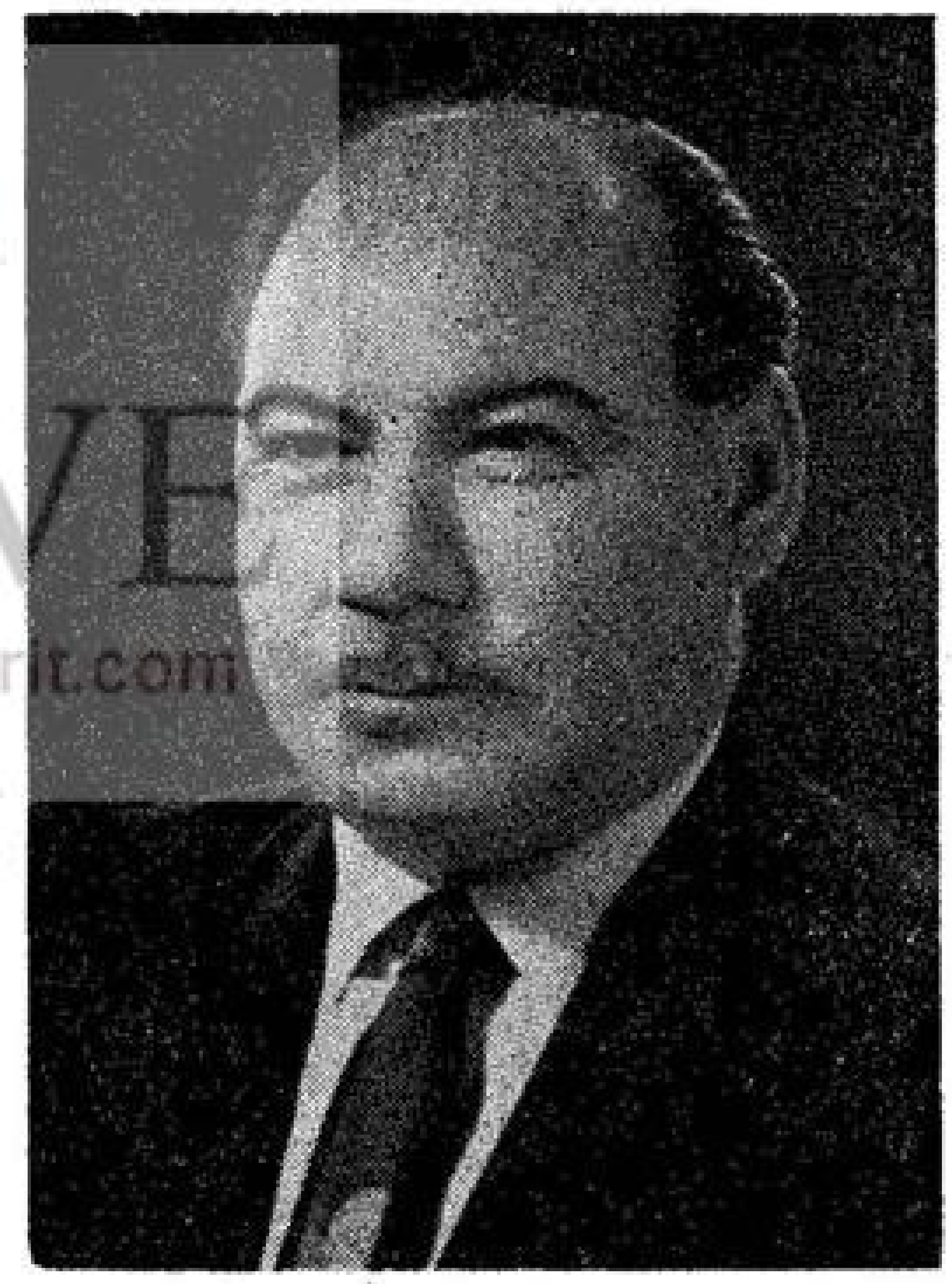
٢ ـ مجلة « الاحد » ـ العدد ١١٩ ـ ١٥ اذار ١٩٥٣ .

باب الخطيئة

صفاء الحيدري

●

بغـداد



وبـلا خطيئـة
للمت ساعاتي الهنيئـة
واستهلكت روحي لياليها البريئـة
ورحلت عن دنياك لم اندم على متع جريئة

كـانت بطيئـة
تلـك انطلاقاتـي الوضيئة
فانسل مـن يـوم ليـوم
كـابـوس وهمـي
ظـل انطباعـي
عن ذلك الامس المضاع
فوضعت حـدا لاندفاعي
خلف المؤمل من ضياعي
وصدى اغانـي الرديئـة

ايامنا كانت قصيرة
كـانت كاحـلام الظهيرة
تمتصها شمس الهجيرة
وشواطىء الذات التي امتدت
مع الرؤيا مدى عادت حسيرة
كانت نهايـات صغيرة

وبدون سجان ولا سجن مؤبـد
اسلمت للقيـد
حريتـي
وصفقت في وجـه الاماني
بـاب قلبـي
فهـو موصد

الآنف الذكر الذي نشرته « الاحد » ...
واذا كنت لم التق بالصافي منذ اكثر مـن عشرين سنة لازيل مسببات الجفوة في نفسه الصافية الحساسة، فاني ما زلت اشعر بحب عميق تجاه هذا الشاعر الوجداني المبدع الشريف الذي اعتبره بحـق غانـدي شعرائنـا المعاصرين لما فطر عليه من زهد صادق وعزوف صريح عن الماديات ومغرياتها مع رسوخ في العقيدة وثبات في المبدأ .
ولعل صديقي الوفي الاستاذ نـزار الزيـن صاحب مجلة « العرفان » الغراء ـ وهو من اقرب المقربين لـدى الصافي ـ قد ازال غضب الصافي تجاه شطحات هـذا القلم الصريح . فما زرت بيروت ، في السنين الاخيرة ، الا وتركت للصافي بطاقة تحية عند الزين وما راسلت الزين الا وارسلت تحية مـن اعماق القلب لشاعرنا الصافي . حفظه الله .

بغـداد — حارث طه الراوي



عبد العزيز الربيعي

السكوت على مثل هذا جناية

بقلم عبد العزيز الربيعي

***

كنا نادي ونقول يحسن باصحاب الصحف اليومية ، والمجلات الاسبوعية ، في مطلع هذه النهضة المباركة نهضة الكتابة ان يضعوا على انهار صحفهم من يراقب ما تفيض به من مقالات وكلمات او بحوث مهما كانت ممتعة شائقة ، وكان يقابل قولنا هذا من اصحاب الصحف بانهم لا ينشرون الا ما يمتاز ببراعة الاسلوب مع دقة المسلك ووضوح المذهب ولباقة التعبير واستقامة الحجة وقوة البيان ... الخ .

وقد قلنا غير مرة ان هذه الاساليب البارعة الدقيقة الواضحة قد ينقصها التحري لمواطن الصواب في بعض الكلمات والعبارات ، فلكم تقع في المقالة الجيدة السبك كلمة او عبارة تتجافى عنها قواعد اللغة وتاباها قوانينها المطردة فتنقص من حسنها ، وتغض من جمالها ، وان الناشئين من الكتاب والشعراء ليحاكون كبارهم وينشئون — بقدر المستطاع — على غرارهم فيسري الخطأ في كتابتهم ويصبح بالمرانة عادتهم وفي ذلك من الجناية على اللغة ما فيه ، ومن العقوق لها ان نرضى بهذه الحالة ونسكت عليها ، كنا نقول هذا بالنسبة للصحف وما ينشر فيها من مقالات — كما قلنا ممتعة شائقة — تعجب وتطرب . اما الان فالحالة ليست حالة مقالة تنشر في صحيفة يومية قد تنتهي في يومها الذي تنشر فيه ، فلا يبقى لها خطر ولا يخشى لها ضرر ، انها قد تجاوزت خطر المقالة في الصحيفة اليومية او المجلة الاسبوعية الى التاليف والنشر ، وما يصحبه من اخطاء واوهام لا تغتفر ، قد يقع فيها المؤلف من حيث لا يدري . والسكوت عليها في نظري يعتبر جناية وعقوقا ، جناية على اللغة والتاريخ وعقوقا للامة والوطن .

لقد اصبحنا نشاهد يوميا المئات من الكتب التي تقذف بها المطابع الى الاسواق في شتى الفنون والشؤون لان التاليف والطباعة مع الاسف اصبحا لدى البعض تجارة ولدى البعض الاخر تقليدا ومحاكاة ، ليس الا ، فاذا كان السكوت لا يجوز — كما قلنا — على مقالة عابرة تنشر في صحيفة يومية لانه قد ينقصها التحري لمواطن الصواب في بعض الكلمات والعبارات التي تتجافى عنها قواعد اللغة وتاباها قوانينها المطردة فان التاليف اولى بالمراقبة والتصويب قبل طباعته . لقد اطلق الدكتور محمد رجب البيومي منذ سنوات صيحته المنذرة على صفحات مجلة « الاديب » منبها الى فوضى التاليف واخطارها العظيمة ، فقال ما معناه من كلمة طويلة نقلها عن الاستاذ امين الخولي « ان وجود رقابة ادبية علمية على المؤلفات التي يخرجها الكتاب تقوم بها لجنة من كبار الاساتذة المتخصصين وتفحصها قبل ان تخرج الى الناس اصبح شيئا لا بد منه ، فاذا رات فيها ما يستحق النشر لفائدته اقرته واذا كان غير ذلك اوصت بمنعه رغم ان اسم الرقابة غير مستحب وثقيل على النفس وهو في مجال التاليف في نظري اشد ثقلا لانه يؤذن بتقييد حرية الرأي وقد تنقلب الرقابة — لا سمح الله — الى هيئة متحكمة في رأيها تمنع الجيد والرديء معا لبعض الاغراض التي تسيطر على النفس البشرية الضعيفة ، ولنا ان نسال انفسنا عن الباعث الذي يدفع بنا بالحاح الى مثل هذا المطلب لنجده ظاهرا كل الظهور في اكثر ما تنشره المطابع اليومية من مؤلفات فقد دأب فريق من الناس على التاليف لا لشيء سوى انهم يجدون الناشر او انهم يملكون نفقات الطبع فاذا قرأت ما يكتبون فانك ترى العجب العاجب ؟ ترى غرائب من الفهم وعجائب من التفكير ، تصبح مجال التندر والتهكم لا موضوع الافادة ، هذا اذا كان الكتاب يدور حول موضوع جديد اما اذا كان يدور حول موضوع مكرور فانك في هذه الحالة لن تعثر على شيء ذي فائدة ، بل ربما وجدت مسخا لحقائق ثابتة وخلطا يدلك على جهل المؤلف وموضوع الخطر هنا ان المؤلف من هذا النوع لا يفتأ يتابع مؤلفاته تلك دون سأم ويقرأها الناشئة على انها حقائق علمية ثابتة » .

ارجو ان لا يفهم من هذه المقدمة انني اعني بهذا القول شخصا بعينه وانما عنيت وضعا عاما نعيشه — مع الاسف — في بلادنا العربية عامة .

هذه خاطرة اوحى بها الي ما نراه هذه الايام من نشاط لبعض شبابنا الجامعي في ميدان التاليف كل في مجال اختصاصه اردت من تسجيلها لفت النظر الى اخطاء الاخرين لئلا نقع فيما وقعوا فيه ، وان نستفيد ما امكننا ذلك من تجاربهم التي سبقونا اليها في مثل هذا الميدان تقديرا للتبعة العلمية القاسية للتاليف وان نتريث في نشر مؤلفاتنا حتى نعالجها في تمكن ونخطها في حيطة وندرس موادها في صبر تمده خبرات السنين الطوال ، وبعدها نستطيع ان نقدم على النشر ونحن واثقون من نجاح عملنا ولو الى حد .

وبين يدي الان كتاب جديد لاحد الشباب الجامعي ظهرت لي عليه بعض الملاحظات بعد قراءتي له ارى انه من الواجب علي تسجيلها لايماني ان مثل هذه الملاحظات تخدم الحقيقة وتخدم القاريء وتخدم المؤلف .

صدر هذا الكتاب عن وزارة الزراعة والمياه ولم يثبت عليه تاريخ طباعته . وقد نشرت عنه جريدة الرياض في عددها (٢٠٥٦) الصادر في ١٤ — محرم — ١٣٩٢ هـ خبرا هذا نصه « صدر عن وزارة الزراعة والمياه كتاب بعنوان امكانية التنمية الزراعية في المملكة العربية السعودية . تاليف الاستاذ حسن حمزة حجره مدير عام ادارة استثمار الاراضي يحوي الكتاب معلومات هامة عن الوضع الزراعي في المملكة بصفة عامة والامكانيات الزراعية فيها كما يتناول الكتاب التقسيمات الطبيعية والجغرافية للمملكة ووصفا عاما لاراضي المملكة حسب كل منطقة زراعية . كما تحدث عن اماكن الزراعة وانتشارها والملكية الزراعية وانواع الزراعات في المملكة ومساحتها . ويقع الكتاب في (١٢٢) صفحة من الحجم الوسط زود بالخرائط والجداول الاحصائية

عن الزراعة في المملكة » أ هـ .

بعد قراءتي لهذا الخبر سارعت للبحث عن الكتاب لان كتابا يحوي معلومات هامة عن الوضع الزراعي في المملكة بصفة عامة والامكانات الزراعية فيها كما يتناول التقسيمات الطبيعية والجغرافية للمملكة مع وصف عام لاراضيها ويصدر عن وزارة الزراعة والمياه ويكون مؤلفه يحمل ماجستير في صيانة التربة والمياه ويشتغل مديرا عاما لادارة استثمار الاراضي بوزارة الزراعة والمياه ، لا بد ان يكون فيه شيء جديد ذو فائدة وبعد حصولي عليه وقراءته ظهر لي عليه بعض الملاحظات كما قلت واليك ايها القارىء الكريم بعضا منها .

١ – جاء على الصفحة التاسعة وفي مقدمة الكتاب قوله : « فهو محاولة استهدفت وضع خطوط عريضة لشرح الوضع الزراعي » ثم قال بعد ذلك « فقد استهدفت وضع لبنة في طريق التطور والتنمية .. الخ وكلمة (استهدفت) تعني لغة : « طلب اتخاذ هدف وهو كل شيء مرتفع من تراب او رمل ومنه مستهدفة ، بفتح الدال واهدف لك الشيء ، واستهدف اي انتصب » . (ومستهدفة) بكسر الدال ، منتصبة مهياة للرمي .

ولا شك ان المؤلف عنى في كلمة (استهدفت) هنا الغرض من تأليف الكتاب اي قصده من تأليفه . ولكنني لا اعرف كيف وقع في هذا الخطأ الشنيع ؟

٢ – تحت عنوان « اهمية الزراعة للمملكة العربية السعودية » وعلى الصفحة (١١) ذكر المؤلف خمس جمل تحت هذا العنوان اولها عن نسبة العاملين في القطاع الزراعي الى سكان المملكة وثانيها عن اسهام القطاع الزراعي في الاقتصاد القومي . وثالثها جملة لا تربطها بسابقتيها اية رابطة . وهذا نصها : « وتعمل جميع الدول جاهدة لانتاج مستلزمات الحياة الضرورية وهي خطوة ضرورية نحو الاكتفاء الذاتي» ورابعتها لا تربطها بسابقتها ايضا اية رابطة وهذا نصها : « ان ارتفاع مستوى المعيشة جعل منتوجات التمر ليست غذاء اساسيا كما هو الحال في السابق » .

٣ – ذكر في صفحة (١٢) بعضا من الاودية التي تتجه غربا وتصب في البحر الاحمر والتي تقع شمال بلدة الليث . ثم قال ان هناك اودية اخرى لا يتسع المجال لذكرها وهذا خلاف لما وعد به في مقدمة الكتاب بان القصد من تأليفه « جعله مرجعا عمليا للعاملين في القطاع الزراعي » وانه « خطوط عريضة لشرح الوضع الزراعي »وكان من المفروض فيه ما دام القصد جعله مرجعا عمليا ان يأتي فيه على ذكر كافة المعلومات التي تهم القارىء .

٤ – جاء على صفحة (١٥) قوله : (أ – هضبة نجد : – ويقصد بها الاراضي المرتفعة الواقعة شرق الحجاز وتمتد الى اطراف سلسلة جبال طويق وتشمل (سدير ، الوشم ، وادي حنيفة ، الخرج ، الحريق ، الافلاج) . وهذا دليل قاطع على خلط المؤلف للمعلومات الجغرافية ، فقد ذكر اولا ان هضبة نجد تقع شرق الحجاز وهذا صحيح ، ولكنه قال بعد ذلك بانها تمتد الى اطراف سلسلة جبال طويق ثم حددها بقوله : (وتشمل سدير الوشم ووادي حنيفة الخرج ، الحريق الافلاج) وهذا التحديد لنجد غير مقبول حتى لدى العامة اذ انه يخالف الواقع فهضبة نجد اختلف الجغرافيون العرب القدامى وعلماء اللغة على تحديدها واكثرهم قال بانها البقعة الممتدة بين النفود الكبير شمالا (رملة عالج) والربع الخالي جنوبا (رملة يبرين) وبين الدهناء في الشرق وجبال السراة في الغرب ، ويشمل هذا التحديد ما يعرف في التقسيم الاداري بمقاطعات الرياض والقصيم وحائل وهذا ما نذهب اليه .

وذكر بعد ذلك مباشرة تحت (ب) ما يلي : « المنطقة الوسطى ومنطقة حائل : – ويطلق على المنطقة الوسطى القصيم .. الخ » وهذا دليل اخر على خلط المؤلف اذ ان القصيم وحائل من منطقة نجد كما ذكرنا ، ثم لا اعرف ما هي المعلومات التي استند اليها في اعطاء منطقة القصيم دون غيرها من مناطق نجد اسم المنطقة الوسطى ، ولو افترضنا ان منطقة القصيم يطلق عليها اسم المنطقة الوسطى وهو افتراض غير مقبول فان التعبير الصحيح ان يقول : ويطلق على القصيم اسم المنطقة الوسطى لان القصيم موجود قبل ان توجد هذه التسمية المستحدثة .

٥ – ذكر في صفحة (١٦) تحت رقم (٢) « وادي رنية : ويبدأ من منطقة جبال غامد اساسا وجزئيا من زهران وبلحارث . وبني عمر » ولا شك انه قصد في كلمة اساسا بداية الوادي . وكلمة جزئيا روافده ولكنه لم يوفق . وقد يكون ايضا المقصود بني عمرو لا بني عمر .

٦ – كما ذكر في نفس الصفحة ان وادي تثليث ينبع من بلاد قحطان ومن جبال شهران ولو استعمل يبدأ بدلا من ينبع لكان اولى نظرا الى انه ليس نهرا جاريا .

٧ – وجاء في نفس الصفحة ايضا ان وادي حبونه اقصر الاودية الستة التي ذكرت في هذه الصفحة « عمرانا من حيث وجود القرى عليه » وهذا التعبير غير واضح فهل يقصد ان القرى موجودة ام غير موجودة ؟

٨ – وجاء في نفس الصفحة ايضا ما يلي : « بالاضافة الى الاودية الستة التي ذكرت هناك وادي الدواسر والصواب (فهناك) وادي الدواسر الذي ينتهي في الربع الخالي .وهناك اودية اخرى تتناثر في مناطق مختلفة امثال (وادي عرعر بالشمال والسهباء ونساح بمنطقة نجد) وهذا ايضا احد نماذج الخلط عند المؤلف .

٩ – وجاء في نفس الصفحة ايضا تحت عنوان الصحاري ... « مثل نفود السرا والدهناء بين القصيم وسدير او تمتد الى شمال المملكة » ويظهر ان المقصود بالسرا ، السر اما قوله ان الدهناء تقع بين القصيم وسدير فهذا شيء مضحك والواقع ان النفود الذي يقع بين القصيم وجبل اليمامة (طويق) هو النفود المسمى الان بـ «عريق البلدان » وقديما يسمى « الرغام » وطرف الكثيب من الجهة الجنوبية يسمى بـ « طريف الحبل » وقد ذكر كلمة او تمتد الى شمال المملكة ولكنه لم يكمل ما تعنيه كلمة او تمتد لانه كان من المفروض ان يقول مثل كذا . وهو لا شك انه يريد ان يقول مثل النفود الكبير شمالا (رملة عالج) ولكنه لم يوفق .

١٠ – وجاء ايضا على نفس الصفحة (١٦) (وكلمة الاحساء (مفردها حسو) قد تكون مدلولا (لتوفر المياه) اذ تعني الحفرة الضحلة التي تتجمع فيها المياه) فهل هناك توافق بين الضحالة والوفرة لا اعتقد ان احدا يقول بذلك ؟

١١ – وورد ايضا في صفحتي (٢١ ، ٢٢) تحت العنوان الرئيسي : (اهمية التقسيمات الطبيعية والجغرافية) العناوين الجانبية التالية :

اولا : تقسيم المملكة الى مناطق جيولوجية رئيسية .

ثانيا : معرفة الامكانيات المائية . والصواب « الامكانات » .

ثالثا : الامكانيات الزراعية . والصواب « الامكانات » .

وعندما نرجع الى العنوان الاساسي نجد انه يدلنا على ان هناك دراسة للوضع الطبيعي والجغرافي ولكن الواقع غير ذلك فهو قد خلط في تقسيماته للامور التي تم شرحها بعد ذلك حيث ذكر امورا غير طبيعية ولا جغرافية . كما انه قد اعاد لنا ما جاء في صفحتي (١٥ ، ١٦) بالتفصيل وهذا هو شأن المؤلف في كثير من صفحات الكتاب وقد اعتمد في تقسيماته للمملكة على المناطق الموضوعة للمسح الذي قامت به الشركات الاستشارية المتعاقدة مع وزارة الزراعة والمياه وليس على الواقع الجغرافي والتاريخي .

١٢ – وجاء على صفحة (٢٧) تحت عنوان اهمية الموارد المائية للمملكة قوله : « فالمعلومات الفنية تشير الى ان موارد المياه في وضعها الراهن يمكنها ان تغطي احتياجات المواطنين لعشرات بل مئات السنين

وهذا لا يعني انه ليس بالامكان زيادة استخراج المياه في اي منطقة الى ابعد من العمق الاقتصادي للضخ .. الخ » ثم قال بعد ذلك مباشرة « وكحقيقة واقعة فان المياه حاليا تعتبر وسوف تبقى المورد المحدود في المستقبل ونقص المياه يعتبر العقبة الوحيدة التي تواجهها التنمية الزراعية في شبه الجزيرة العربية اذ ان موارد المياه المكتشفة حديثا تحد من مشاكل نقص المياه ولكنها لا تقضي على تلك المشاكل كلية .. اذ ان ارتفاع تكلفة استخراج المياه الجوفية في بعض المناطق يعتبر من العوامل التي لا تساعد على استغلال هذه المياه في الزراعة » . ان هذا الشرح لاهمية موارد المياه يدلنا مرة على وفرتها واخرى على قلتها فهو يظهر لنا كثيرا من التناقض والخلط لدى المؤلف اثناء جمع هذه المعلومات واعتمادي على فطنة القارىء الكريم يكفيني مؤنة الاطالة والتفصيل هنا .

١٣ – وجاء في صفحة (٢٨) تحت عنوان الصخور المتحولة قوله : « وهي صخور متبلورة مثل الرخام ولا تحمل مياه جوفية بها » والصواب ولا تحمل مياها جوفية .

١٤ – وجاء على صفحة (٣٠) تحت عنوان « الظروف والعوامل الطبيعية التي تؤثر على الزراعة » قوله : ان المملكة تتميز بالاتي : « مناخ صحراوي في معظم اجزاء المملكة » والصواب اجزائها .

١٥ – وجاء في نفس الصفحة ايضا « وعلى العموم يتميز سقوط الامطار بالمملكة بالاتي :

١ – ندرة سقوط الامطار .

٢ – انحباس الامطار .

٣ – عدم انتظام سقوط لامطار .. الخ »

ولا اعرف كيف يمكن اعتبار هذه الامور مميزات لسقوط الامطار ولكن لله في خلقه شؤون .

١٦ – وجاء في صفحة (٣٨) كلمة وادي مياه والصواب وادي المياه والاودية التي يطلق عليها هذا الاسم في الجزيرة العربية كثيرة وكان يجدر بالمؤلف ان يشير الى مكان الوادي من الجزيرة العربية ويظهر ان المؤلف قد استند في مرجعه على ترجمة من تقارير الشركات الاستشارية لان الخارطة الموضحة من قبل ادارة الشئون الزراعية التابعة لوزارة الزراعة والمياه بالمنطقة الشرقية قد ذكرت وادي المياه بلام التعريف وهذا يظهر لنا امانة المؤلف في نقله فهو يضع الكلمات التي تأتيه من فروع وزارة الزراعة والمياه عن مناطقها كما وردت اليه ويضع ما ينقله من التقارير عن هذه المناطق كما هو حسب اجتهاد المترجمين ومثال آخر على ذلك اثباته لاسم جازان تارة بالالف كما هو الصواب وتارة بالياء . وهذا ليس فيه تجن على المؤلف فهو قد ذكر في الصفحة السابعة من مؤلفه بان مديري فروع الزراعة والمياه هم الذين وضعوا الخرائط المحلية واسماء القرى الزراعية .. الخ .

١٧ – جاء في صفحة (٤٣) ذكر سهل (ضرما) و سهل (الزلفى) وذلك عند ذكر الاراضي الرسوبية وهذا التعريف يفهم منه ان سهل (ضرما) لا صلة له بسهل (الزلفى) بينما هو سهل واحد تقع عليه عدة مدن وقرى من الشمال الى الجنوب او العكس ويطلق على هذا السهل اسم (قرقرى) في القديم و (البطين) او (الحماد) في الوقت الحاضر وقد كان له شأن في التاريخ وهو من اخصب بقاع اليمامة واكثرها نخيلا واجودها حنطة واطيبها مرعى .

وفيه يقول يحيى بن طالب اليمامي وهو علم ضخم من اعلامه :

أحقا عباد الله ان لست ناظرا ... الى قرقرى يوما واعلامها الغبر
كأن فؤادي كلما مر راكب ... جناح عقاب رام نهضا الى وكر
أقول لموسى والدموع كأنها ... جداول فاضت من جوانبها تجري
ألا هل لشيخ وابن ستين حجة ... بكى طربا نحو اليمامة من عذر
وزهدني في كل خير صنعته ... الى الناس ما جربت من قلة الشكر
اذا ارتحلت نحو اليمامة رفقة ... دعاك الهوى واهتاج قلبك للذكر
فواحزني مما أجن من الاسى ... ومن مضمر الشوق الدخيل الى حجرى
تغربت عنها كارها وهجرتها ... وكان فراقيها امر من الصبر
اذا أنت لم تنظر لنفسك خاليا ... أحاطت بك الاحزان من حيث لا تدرى
فيا راكب الوجناء أبت مسلما ... ولا زلت من ريب الحوادث في ستر
اذا ما أتيت العرض فاهتف باهله ... سقيت على شحط النوى مسبل القطر
فانك من واد الى محبب ... وان كنت لا تزداد الا على عقرى(1)

١٨ – جاء في صفحة (٤٤) (ما عدا في مناطق) والصواب ما عدا مناطق اذ لا لزوم لحرف الجر هنا بعد ما عدا .

١٩ – جاء في صفحة (٤٩) قوله : « اولا بسبب تواجد (٢) التربة الخصبة . ثانيا : نتيجة لما تحمله الاودية من طمى ترسب مع المدة الطويلة مكونا اراض زراعية » والصواب ان يقول وثانيا ... وان يقول اراضي لا اراض لانها اسم منقوص تظهر عليه حركة النصب .

٢٠ – جاء في نفس الصفحة ايضا قوله : « اما وادي رابغ ووادي فاطمة فالزراعة فيهما اكثر . وتعتمد مدينة مكة وجدة في سد جزء من احتياجات سكانها من الخضار ... الخ » وفي رأيي انه لا داعي لافعل التفضيل هنا ويظهر انه يريد ان يقول ان هناك زراعات كثيرة . واما قوله تعتمد مدينة مكة وجدة ... الخ فان المفروض استعمال صيغة المثنى كان يقول مدينتا ... سكانهما .

٢١ – وجاء في نفس الصفحة ايضا ما يلي : « وفي وادي الليث تقوم زراعة الذرة والدخن وفي مساحات كبيرة » والصواب في مساحات كبيرة اذ لا لزوم للواو هنا .

٢٢ – وجاء في صفحة (٥٠) السطر الخامس « وتزداد كبر المساحة الزراعية ... الخ » والصواب ويزداد .

٢٣ – وفي السطر العاشر من الصفحة نفسها جاءت كلمة « ويتم اقامة سلسلة من السدود » والصواب وتم .

٢٤ – وفي السطر الحادي عشر جاءت كلمة « ثم تحول المياه الى اراض اخرى » والصواب ثم تتحول .

٢٥ – وجاء في صفحة (٥١) تحت عنوان اودية اخرى : « اهمها وادي الدواسر وينتهي في الربع الخالي » ولم يذكر من أين يبدأ .

٢٦ – وجاء في نفس الصفحة ايضا ان قرى وادي الدواسر اربع عشرة قرية هي الفرعة وهي المركز (وتشمل آل عويمر ، آل عريمه ، آل ناهش ، آل حميضان) ... الخ والصواب ان الفرعة هو اسم القرية اما آل عويمر وآل عريمه وآل ناهش وال حميضان فهي اسماء فخوذ من قبيلة الوداعين من الدواسر يسكنون جميعهم الفرعة واما قاعدة الوادي فهي الخماسين وليست الفرعة كما ذكر المؤلف .

٢٧ – وجاء في صفحة (٥٢) قوله : « ان وادي حنيفة يخترق وسط نجد وانه قد يكون لقربه من مدينة الرياض ميزة » وقد يفهم من هذا القول ان مدينة الرياض لا تقع على هذا الوادي وهذا خلاف للواقع

٢٨ – وفي نفس الصفحة ايضا اورد المؤلف سردا لواحات المملكة حسب ترتيبها من الشمال الى الجنوب على حد قوله : « وهي واحة دومة الجندل ، وسكاكا (واللتين يطلق عليهما الجوف) ، تيما ، العلاء ، خيبر ، المدينة المنورة ، ينبع النخل ، حائل ، القصيم ، الاحساء ، القطيف ، جبرين ، وكذلك واحات نجد » ويفهم من هذا الكلام ان القصيم وحائل ليستا من نجد وهذا خطأ . وكان المفروض فيه ايضا ان يحدد واحات نجد التي اشار اليها كما حدد الواحات الاخرى .

٢٩ – وجاء في الصفحة السابعة والخمسين ان المدينة المنورة تعتبر مركزا تجاريا هاما ولا سيما لتصريف التمور ... كهدايا للزائرين من داخل المملكة وخارجها ومن هذا التعريف يفهم القاريء ان التمور

---

١ – جئنا بهذه المقطوعة ليحيى بن طالب دون غيرها من الشواهد الاخرى لمعالم الجزيرة واعلامها لانها تعتبر فريدة في الادب العربي في تصويرها لقصص الحنين ولوعة الاغتراب والامه وكربه .

٢ – تواجد كلمة عامية .

لا تستهلك الا كهدايا وهذا خلاف للواقع اذ ان التمور تستهلك اكثر ما تستهلك جزءا من الغذاء الاساسي .

٣٠ ـ وجاء في الصفحة الثامنة والخمسين تحت حرف (د) (ويزرع بها بعض الحبوب) والصواب وتزرع .

٣١ ـ وجاء في صفحة (٦١) ما يلي : « وتعتبر العلا وقراها الزراعية احدى المصادر المحلية لتزويد مدينة الوجه الساحلية وكذلك مدينة تبوك بالخضار والتمور كما يجري تصريف جزء كبير من تمورها في تبوك ... الخ » وهذا الكلام على ركاكته يشتمل على تكرار لا لزوم له .

٣٢ ـ وجاء في الصفحة نفسها ويطلق القصيم « على مناطق بريدة وعنيزة والرس وما يتبعها » والمفروض ان يضيف المذنب ايضا .

٣٣ ـ وعند سرده للقرى التابعة لبريدة أورد اسم الفوارة مرتين ويظهر انه قصد باحداهما القوارة كما انه قد اطلق على (ابا الدود) ابا السدود والدغمانيات الدغمانية .

٣٤ ـ وجاء في صفحة (٦٢) عند ذكره لقرى السر تسمية وثيلان ثيلان وذكر قرى صغيرة كثيرة في الوقت الذي اغفل فيه قرى كبيرة كالسكران وعين ابن فنور والطرفية ومصيبيحة ومهيضة وغيرها .

٣٥ ـ وجاء في نفس الصفحة ايضا قوله : « ان الماشية تعلف بالبرسيم حيثما تشح المراعي » والصواب حينما او عندما تشح المراعي.

٣٦ ـ كما جاء في الصفحة ايضا قوله تحت رقم (٤) : « لا خوف من هذا الاتجاه وهو زيادة انتاج الماشية في القصيم بسبب التوسع في المساحة المزروعة من البرسيم او جزئيا على حساب القمح ... الخ » وكلمة جزئيا هنا غير واضحة المعنى .

٣٧ ـ جاء في صفحة (٦٩) ذكر قرية العليا واهم مناطقها الهابة والصواب اللهابة وذكرت قرية السفلى بدون ترقيم فهل يقصد المؤلف من ذلك انها تابعة لقرية العليا ام ماذا ؟ وهذه جميعها هجر للبادية وموارد مياه والمفروض ان يشير المؤلف الى ذلك .

٣٨ ـ كما جاء في نفس الصفحة ايضا تحت عنوان « خامسا ـ مدن اخرى بالمنطقة الشرقية لم يرد ذكرها وهي الدمام ، والخبر ، والظهران ... الخ لها اهميتها في تسويق المنتجات الزراعية الخاصة بالمنطقة الشرقية » بينما ذكر في صفحة (٦٥) ما نصه : « وقد بدأت زراعة الخضار تنتشر في نطاق واسع في الاحساء بسبب تواجد اسواق تصريف له في مدن الدمام والخبر والظهران » وهذا دليل آخر على الخلط لدى المؤلف .

٣٩ ـ وجاء في السطر الثالث من الصفحة (٧٠) كلمة (من السابق) والصواب في السابق .

٤٠ ـ وجاء في نفس الصفحة ايضا وفي السطر السادس كلمة (تجود فيه) والصواب فيها .

٤١ ـ وجاء في الصفحة نفسها وفي السطر السابع قوله : « ويمكن القول بان هذه الزراعات كانت على حساب اشجار التمور » والصواب ان يأتي بفعل مضارع بعد كانت كأن يقول كانت تنمو او اي فعل آخر.

٤٢ ـ وجاء في السطر الثامن من الصفحة نفسها ايضا قوله : « وفي المساحات الحديثة التي استجدت » وليس لهذه الجملة اي مكان ظاهر هنا .

٤٣ ـ وجاء في نفس الصفحة ايضا وفي السطر الخامس عشر تسمية العريجاء ب (عريجاء) وهذا خطأ .

٤٤ ـ وجاء في نفس الصفحة ايضا عند ذكره للمجموعة الثالثة من مناطق الزراعة قوله : (قصور آل عقيل) والصواب آل مقبل .

٤٥ ـ وجاء على تلك الصفحة ايضا تحت عنوان حريملاء انه « يتبعها اكثر من عشر قرى زراعية ... تقع على اودية اهمها : وادي حريملاء ، وادي ملهم » والصواب ان يقوم وتقع وان لا يثبت علامة الشرح : (: ـ) ثم انه ليست هناك اودية كما ذكر المؤلف فهو واد وتقع عليه قرى المنطقة . وبعد ذكره لقرى هذا الوادي قال « وقد تسمى هذه القرى او بعضا (٣) منها بمنطقة الشعيب » والصواب ان اسم المنطقة هو الشعيب فعلا وقاعدته حريملاء .

٤٦ ـ وجاء ايضا في نفس الصفحة (٧٠) تحت عنوان منطقة القويعية قوله : « ويتبعها اكثر من (٦٠) قرية صغيرة مركزها القويعية . كما يتبعها اعداد كبيرة من الهجر متفرقة نشأت اصلا من تجمعات البادية » والصواب ان يستعمل كلمة تتبعها في كل من الموضعين . كما ان اكثر السكان من بني زيد وبني خالد من الحاضرة وليسوا من البادية كما ذكر ومن اهم قرى بني زيد نخيلان ومحرقة وتقعان على وادي الخنقة .

٤٧ ـ وجاء في نفس الصفحة ايضا وتحت الفقرة (أ) قوله : « وادي الخنقة ... وعليه تقوم قرى اهمها الرويضة وخنقة ونخيلان وسنام ... الخ » والصواب ان الرويضة وسنام لا تقعان على الوادي المذكور لانهما تقعان خارج الجبل وسكان الرويضة هم من قبيلتي السهول وبني زيد . وهي تعرف بالسهول اكثر من بني زيد .

٤٨ ـ وجاء في الصفحة نفسها ايضا وتحت فقرتي (ب) ، (ج) قوله : « وادي الرين ووادي القويعية » وذكر انه توجد عليهما عدة قرى زراعية ولكنه لم يورد اسماء اي منها .

٤٩ ـ وجاء في الصفحة نفسها عند ذكره للطريق المزمع تعبيده بين الرياض والقويعية قوله : « وهو الجزء من طريق الحجاز » والصواب وهو جزء من طريق الحجاز .

٥٠ ـ وتحت عنوان المراعي في نفس الصفحة ايضا جاء قوله : « يمتهن عدد كبير من سكان منطقة القويعية بحرفة المرعى » والصواب حرفة بدون حرف الجر وجاء قوله بعد ذلك مباشرة (انتاجيتها) وهذه الكلمة لا تستعمل في لغة الكتابة .

٥١ ـ وفي السطر (٢٠) من نفس الصفحة ايضا جاء قوله : « وتبلغ المساحة الزراعية لمنطقة الخرج اكثر من ٧٥ الف دونم » وفي رأيي ان استعمال (في منطقة الخرج) اولى .

٥٢ ـ وفي هذا الموضع من الصفحة نفسها جاء المؤلف بعدد قرى الخرج التي ذكر بانها اكثر من ٣٠ قرية ولكنه لم يأت على ذكر القاعدة للمنطقة وهي مدينة (السيح) .

٥٣ ـ وفي الصفحة (٧٤) جاء قوله : « تعتبر الافلاج منطقة مصغرة لمنطقة الاحساء حيث تتواجد فيها عيون كبيرة جدا لها قنوات قديمة محفورة تصل عددا كبيرا من المزارع ولكن معظمها اصبح الان متهدما . وتعتمد على آبار سطحية » والقارىء قد يدرك مباشرة ان المقصود المنطقة وليست العيون وعلى اية حالة فهذا قول فيه ركاكة وكلمة تتواجد هنا جاءت في غير محلها لانها في الواقع موجودة منذ القدم وليست حدثا . والمفروض ان يشير الى المناطق التي توجد فيها تلك العيون لانها ليست في كافة قرى الافلاج . وفي السطر الرابع من الصفحة نفسها ذكر ان زراعة الافلاج تتشابه الى حد كبير بزراعة الاحساء (حيث تنتشر مزارع النخيل وكذلك اشجار الموالح) والواقع انه عندما ذكر منطقة الاحساء في الصفحة (٦٥) لم يشر الى انها تنتج موالح .

٥٤ ـ وفي نفس الصفحة ايضا وتحت عنوان منطقة الوشم جاء قوله : « وتطلق اساسا على قرى مرات وشقراء واشيقر واثيثة وقد تتبعها الدوادمي او لا تتبعها ... » فقوله (قد تتبعها .. او لا تتبعها) يدلنا دلالة قاطعة على عدم معرفة المؤلف بما ينقل والمفروض في مؤلف مثله يؤلف كتابا يعتبره « مرجعا عمليا للعاملين في القطاع الزراعي والمتهنين به (والصواب المتهنين له) وكذلك الذين يهمهم تكوين رأي عام عن الزراعة وامكانياتها » و (خطوطا عريضة ....) و (لبنة في طريق التطور والتنمية) ان يكون على اقل حالة على علم بصحة ما ينقله

---

٣ ـ بعض نائب فاعل فلماذا نصبت ؟

فضلا عن انه كان من واجبه ان يكون عالما به . ولمعلوماته الخاصة فان الدوادمي ليست من منطقة الوشم وانما هي منطقة مستقلة بذاتها ولا ترتبط بالوشم لا جغرافيا ولا اداريا وهي من الناحية الجغرافية من العرض وليست من الوشم وهي تتربع على شكل هضبة في مكان فسيح وجوها لطيف معتدل ويكثر شجر الرمث حواليها ولم يرد لهذه البلدة ذكر في معاجم الامكنة القديمة واكثر سكانها من قبيلة بني زيد القحطانية ولم تشتهر بلدة (الدوادمي) الا بعد ان جعل منها مركز وممر للسيارات الذاهبة والايبة من الحجاز الى الرياض وهي متوسطة بين اقليمي (السر) و (القويعية) .

٥٥ — وفي نفس الصفحة ايضا قسم منطقة الوشم الى (أ) و (ب) ولم يدلنا قبل ذلك على انه سيقوم بمثل هذا التقسيم كأن يقول وتنقسم المنطقة الى (أ) ... (ب) او ما الى ذلك وهذا طبعا خطأ كان يجب ان يتنبه اليه المؤلف .

٥٦ — وفي نفس الصفحة ايضا وعند ذكره لقرى الوشم حذف لام التعريف من الحماد وحوله من مذكر الى مؤنث اذ سماه (حمادة) والصواب (الحماد) وعند تعريفه للقرى التابعة لشقراء قال : « اما في شمالها فتقع قرى الحاج — الشكيرة — الفرعة — اوشيقر — العب — السياري — الصوح — الحريق — حريقة — الداهنة — ام العصافير — ريح — بحيمة — الهويجة — غرابة — الرويكيب وهناك هجر صغيرة هي غرغر — جودة — سامودة — حديثة لبخة — قنيفذه — الشمس — السميسة — الملحا — خشم الملحا ... » والصواب ان الشكيرة مزرعة وليست قرية . وان العب ايضا مزرعة وكذلك السياري والرويكيب . والهويجة — والغرابة والشمس مورد للبادية وغرغر ايضا من موارد البادية . وجوده بئر لابن جودان والشميسة بئر لابن سوري من اهل مرات . وسامودة بئر لابن هاجد من الروقة والملحا وخشم الملحا هي معالم في صحراء المستوى وهكذا فاكثر الاسماء التي ذكر انها قرى اما انه لا وجود لها او انها مزارع او موارد للمياه .

٥٧ — وجاء في نفس الصفحة ايضا قوله ان من القرى التي تقع جنوب الدوادمي ضفاقة والصواب صفاقة بالصاد وهي بئر وليست قرية . وسميرة وهي سمراء وليست سميرة . والرفايع عدة مزارع وليست قرية . والشبرمية كذلك مزارع من مزارع شقراء . والرماديات غير معروفة . وقد سمى بلدة نفى المعروفة نيفي وهذا خطأ كما سمى (الاثلة) ب (الاوثيلة) وهذا خطأ ايضا .

٥٨ — وفي صفحة (٧٩) وتحت عنوان منطقة سدير جاء قوله : « وتطلق على منطقة المجمعة والغاط والزلفى بصفة اساسية وبتبع المجمعة قرى قد يصل عددها الى ٦٠ قرية وهي قرى صغيرة جزء كبير منها يخترقها الخط المسفلت الذي جرى تعبيده حاليا . امثال قرى العودة ... الخ » والصواب ان كلمة سدير في الواقع لا تطلق على الغاط والزلفى . كما ذكر هنا وانما كلمة سدير تطلق على وادي سدير وقراه المعروفة وهي العودة والعطار والجنيفي والجنوبية ومقبلة والحوطة والحصون والروضة . اما التويم وجلاجل والخطامة وعشيرة فتقع على وادي المياه وليست على وادي سدير ووادي المياه كما هو معروف يقع بين وادي سدير والمجمعة والمجمعة نفسها ليست من سدير وانما هي قاعدة المنطقة وهي كما هو معروف تقع على وادي المشقر الذي تقع عليه ايضا حرمة من قرى المنطقة وقد كرر المؤلف هنا قوله : (قد يصل) كما هي عادته عندما يكون غير متأكد من الموضوع الذي ينقله وقد عودنا دائما ان يتحفنا بكلمات (قد تتبع وقد لا تتبع) (وقد تكون وقد لا تكون) وهكذا !!

٥٩ — وعند تعريفه لقرى سدير قال انها قرى صغيرة ولكنه عند تعريفه عما اسماه بقرى الوشم وفي تعداده لاسماء المزارع التي اعتبرها قرى لم يقل انها صغيرة وهذا من الطبيعي لا يمنعنا من ان نفترض بان بعضا من قرى سدير التي ذكر هي صغيرة فعلا واما قوله بانه « يخترقها الخط المسفلت الذي جرى تعبيده حاليا » فانه غير مستقيم المعنى اذ المفروض ان يقول الذي يجري تعبيده حاليا او اذا كان يتكلم عن ماضي ان يقول جرى تعبيده من مدة قريبة او قريبا او ما الى ذلك وقوله (قرى العودة) فان المفروض ان يقول القرى التالية وهي : العودة ... الخ لان لهجته توهم بان هناك قرى تتبع العودة .

٦٠ — وعند ذكره ايضا لما اسماه ببقية القرى (قرى سدير) سمي تميرا ب (تميد) ووشي ب (وشحى) والفروثى بالفروتى . وهنا خلط بين قرى سدير وقرى مجزل وقرى الحماد فتمير ومبايض وبوضة في منطقة مجزل وليست في منطقة سدير والفروثى تقع في منطقة الحماد وكل هذه القرى تتبع المجمعة قاعدة المنطقة اداريا .

٦١ — وعند ذكره لقرى سدير التي تقع جنوب غرب المجمعة قال انها : « الداهنة — الجريفاء — الحريق — روضة ام العصافير — القصب — واللفف ومشاش والبدائع » وفي تعداده لقرى الوشم على صفحة (٧٤) اثبت القرى هذه لمنطقة الوشم وهنا اثبتها لمنطقة سدير وهذا خلط غريب وتكرار يدل على الجهل الفاضح فهي لا تقع في اي من المنطقتين بل انها تقع في منطقة ما يسمى (بالحماد) او (البطين) في الوقت الحاضر وفي القديم ما يسمى ب (قرقري) وقد جئنا على ذكر هذا السهل وتحديده عند تصويبنا لاخطاء صفحة (٤٣) من الكتاب ويفصل بين هذه المنطقة وبين سدير جبل طويق ويفصل بينها وبين الوشم ما يسمى بنفود عريق البلدان .

٦٢ — وجاء ايضا قوله ان قريتي (الرويضة الجنوبية) والرغبة والصواب (رغبة) من تلك القرى التابعة لسدير وايضا تقعان جنوب غرب المجمعة والصواب انهما لا تقعان جنوب غرب المجمعة كما ذكر ولا تتبعان للمجمعة لا جغرافيا ولا اداريا فهما من قرى منطقة المحمل الجنوبية وتقعان على الخط المتجه من الرياض الى الحجاز فيما بين ضرمى ومرات ولا اعرف كيف وقع المؤلف في هذا الخلط الشنيع اما القرى التي تقع جنوب غرب المجمعة فهي الرويضة (رويضة الخيس) والخميس والعمار .

٦٣ — وجاء في نفس الصفحة ايضا قوله : « كما يصل الخط المسفلت الى قرى ثادق وبالقرب منها البير والعويند وقد تسمى هذه القرى الثلاث وما حولها بمنطقة المحمل » والصواب قرى المحمل وليست قرى ثادق وثادق هو قاعدة المنطقة اما قرى المحمل فاهمها ثادق وهي القاعدة والبير والصفرات والرويضة . ورغبة والبره والمشاش (مشاش السهول) .. الخ ويلاحظ القارىء الكريم هنا كما هي عادة المؤلف عدم تيقنه مما يكتب عندما يقول : « وقد تسمى هذه القرى الثلاث وما حولها بمنطقة المحمل » !!

٦٤ — وفي نفس الصفحة ايضا جاء قوله : « ويصل الخط المسفلت الى الغاط التي تقع في شعيب الغاط وهي مزارع نخيل صغيرة متناثرة ... الخ » والواقع ان الغاط هي بلدة مسكونة من الاف السنين وليست مزارع نخيل صغيرة متناثرة فقط كما ذكر المؤلف .

٦٥ — وفي نفس الصفحة ايضا جاء قوله : « كما يصل الخط ايضا الى الزلفى وهي منطقة مزارع متجمعة ... الخ » والزلفى في الواقع مدينة كبيرة ومزارعها ليست متجمعة كما ذكر المؤلف بل انها متناثرة ومنطقتها واسعة اما المزارع المتجمعة فعلا فهي مزارع الغاط القديمة الواقعة على حافتي الشعيب الشمالية والجنوبية ولمعلوماته فان الخط المسفلت لم يصل لا الى الغاط ولا الى الزلفى وقد طرح في المناقصة فعلا وقد يبدأ بتنفيذه قريبا ان شاء الله .

٦٦ — عند ذكر المؤلف لقرى الزلفى قال : « واهم قراها مليح — سمنان — اللغاء — جزرة وتوجد مزارع اخرى ... الخ » والصواب ان مليح من قرى الغاط وليس من قرى الزلفى اما اللغاء فلا تعرف في المنطقة قرية بهذا الاسم ولا علم من معالم المنطقة . وكذلك جزرة ليست بقرية وانما هي ملتقى جبل طويق بنفود عريق البلدان وسميت ب (جزره) لان جبل طويق يجزر فيها اي ينتهي ويدفن في تلك الرمال. ومن قرى الزلفى علقة وعريعرة والسيح وسمنان والحيطانومغيرا والعقلة

وامية الذيب والمر والارطاوية (ارطاوية الزلفى وليست ارطاوية مجزل) واللفف والخل وقصيبا والمنسف والثوير . . الخ .

٦٧ – وفي نفس الصفحة ايضا (٧٩) جاء قوله : « يتبع منطقة الزلفى روضة ذات مساحة طولها اكثر من ٢٠ كيلومتر وعرضها اكثر من ٦ كيلومترات وتسمى السبلة » وفي رأيي انه بصفته مؤلفا لكتاب يقصد منه ان يكون « مرجعا عمليا للعاملين في القطاع الزراعي والمتهتمين به وكذلك الذين يهمهم تكوين رأي عام عن الزراعة ... » وهو في هذا الكتاب يتصدى لموضوعات كثيرة منها الجغرافية والاجتماعية والاقتصادية وما اليها كان عليه ان يذكر ان (السبلة) معروفة ولا يوردها كشيء نكرة ذلك ان لها تاريخا معروفا اصبح جزءا من تاريخ هذه البلاد انتصر فيه الحق على الباطل بين موحد هذه الجزيرة جلالة المغفور له الملك عبد العزيز والخارجين على الطاعة . واهالي نجد جميعهم يؤرخون لمواليدهم بها فيقولون مثلا ولد فلان قبل السبلة بكذا . او سنة السبلة او بعد السبلة بكذا . وتسجل فيها كثير من الاحداث فيقال حدث كذا قبل السبلة او بعد السبلة ... الخ .

٦٨ – وفي هذه الصفحة ايضا جاء قوله « والشكل رقم ٢٠ يوضح القرى الزراعية في كل من سدير والمجمعة والغاط والزلفى » وهذا تحديد مقبول لانه ذكر المناطق بالتفصيل كما هو الواقعلا كما هو التعريف الموضح في اعلا الصفحة والذي تم تصويبه ولكنه لم يوضح في الخارطة الحدود التي تفصل بين تلك المناطق والمناطق المجاورة لها كالبطين والمحمل ومجزل وهي واردة في الخارطة . وهذا موجز لفقرات صغيرة اخرى وردت في هذه الصفحة قال المؤلف في السطر الثاني عشر بدأ والصواب بدىء وفي السطر الخامس عشر قال « نفود التويثرات » والصواب الثويرات وفي السطر السابع عشر قال « ويصعب زيادة المساحة بها » والصواب وتصعب وفي السطرين التاسع عشر والعشرين قال : « على وادي المجمعة » والصواب وادي المشقر وفي السطر الثاني والعشرين قال (يتبع) والصواب (تتبع) وفي السطر التاسع والعشرين قال : « منطقة الطايف ويتبعها النواحي التالية » والصواب (تتبعها) وفي السطر الثلاثين قال : « بني سعد ومركزهم السحن » والصواب ومركزها لان المقصود الناحية . وهذا ينطبق ايضا على النواحي التي وردت تحت (٣) ، (٤) في الصفحة (٨٠) اذ المفروض ان يقول ومركزها بعد كل ناحية لا ان يقول ومركزهم . وفي السطر الاول من الصفحة (٨٠) قال (وعدد قراهم) والصواب قراها للناحية وهذا ينطبق على هذه الكلمة عند ورودها في السطر الثالث من نفس الصفحة وفي السطرين الخامس والسادس في الصفحة نفسها جاء قوله : « ويرتبط بهم » والصواب وترتبط بها لان المقصود الناحية وفي السطر السابع والعشرين على الصفحة (٨٣) جاء قوله : « في ما عدى رجال المع » والصواب ما عدا وفي الصفحة (٨٥) هناك بعض الاغلاط التي كان ينبغي الا تقع مثل : ما جاء في السطر الاول (تزرع) والصواب يزرع لان المقصود هو القمح والشعير وفي السطر الخامس قال : « تبعد عن الطائف باكثر » والصواب (اكثر) وهذا ينطبق ايضا على نفس الكلمة الواردة في آخر السطر .

٦٩ – وعلى الصفحة (٨٦) وفي السطر الخامس جاء قوله : « اهم مناطق انتشار الزيتون البري يكون في بني مالك » وهذا تعبير ركيك حيث ان لا داعي لكلمة (يكون) هنا .

٧٠ – وفي نفس الصفحة جاء قوله : « ان الشكل رقم ٢٣ خريطة توضح مناطق الغابات في عسير والمناطق الزراعية في تهامة عسير » والمفروض ان يثبت في اصطلاحات الخارطة ما يدلنا على مواقع الغابات في عسير والمناطق الزراعية في تهامة عسير وقد افتقدت اصطلاحات الخارطة التي تشير الى المدن والقرى وهذه هي القاعدة التي سار عليها المؤلف في اكثر الخارطات التي وضعها في هذا الكتيب .

٧١ – وفي الصفحة (٩٢) وفي السطر الثالث عشر جاء قوله : « ٢ – صعوبة خدمة مساحة زراعية كبيرة سابقا » والصواب ان يقول في الوقت السابق او فيما سبق او ما الى ذلك .

٧٢ – وفي نفس الصفحة وفي السطر الرابع عشر والثامن عشر وفي مواقع كثيرة من الكتاب جاء قوله : (مكينة) ويقصد بها استعمال الآلة فاذا كان لا يرغب استعمال الاسم العربي فان بامكانه ان يستعمل الكلمة الاجنبية (مكينة) اي ادخال المكائن على الزراعة .

٧٣ – وفي السطرين الخامس والسادس من الصفحة الرابعة والتسعين جاء قوله : « وحل هذه المشكلة يكمن في استثمار مساحات من الاراضي البور (اراضي بيضاء غير مزروعة) وتحويلها الى اراض مزروعة وبالتالي تمليكها او بمعنى اصح استصلاح اراض بور ولذلك صدر نظام توزيع الاراضي ... الخ » وهذه الجمل المرصوصة مع بعضها البعض على ركاكتها قد تكون مقبولة ومفهومة ولكن جملة : « او بمعنى اصح استصلاح اراض بور » ليس لها اي معنى هنا .

٧٤ – وفي نفس الصفحة (٩٤) وبالسطور التاسع والعاشر والحادي عشر جاء قوله : « ولقد كانت عائدية الاراضي البور وملكيتها تاريخيا شبه جماعية وذلك بسبب وجود المجتمع القبلي وعدم استقراره وبسبب فقدان مورد المياه الثابتة وان هذه الاراضي يزرع جزء منها عند سقوط الامطار وبدون انتظام وحسب كمياتها وقد لا يزرع فيبقى اراض رعوية » في الواقع اني حرت في فهم ما يقصد المؤلف من رص هذه الجمل بجانب بعضها دون ان يكون هناك دلالة على انه يتكلم عن شيء يفهمه ويريد افهامه للاخرين وهذه الركاكة في الاسلوب ورص الجمل بدون معنى ولا مضمون يصحبان القارىء في الكثير من صفحات الكتاب هذا زيادة على استعماله لكلمات عامية هي في الواقع بدع في اللغة العربية ككلمة (عائدية) .

٧٥ – وفي نفس الصفحة وتحت عنوان اراضي المراعي ، اورد لنا المؤلف ارقاما عن الثروة الحيوانية ونسبتها الى مجموع الدخل الوطني وكذلك احصائية عن مجموع الثروة الحيوانية في المملكة ولكنه لم يشر الى مرجعه والمؤلفون الزموا انفسهم دائما بان يشيروا الى مرجع الاحصائيات التي يوردونها في مؤلفاتهم في نفس الصفحات التي ينقلون فيها تلك الاحصائيات .

٧٦ – وعلى الصفحة (١٠٠) قال ان المملكة تعتبر رابع دولة في العالم منتجة للتمور ، فهي تاتي بعد العراق وايران ومصر ولم يشر ايضا الى مرجعه في ذلك وفي رأيي ان اي شخص يطلع على احصائيته هذه سيشك في معلوماته ومعلومات مرجعه فيما لو انه اثبته وقد يقول اي شخص بان المملكة والعراق تتسابقان على الاولوية في انتاج التمور اما ان تاتي المملكة بعد مصر وايران فهذا ما لا يمكن ان يصدقه احد وعلى اية حالة فاحصائية عام ١٩٦٨ م الصادرة عن منظمة الاغذية والزراعة قد اعطت المملكة المرتبة الاولى في انتاج التمور في العالم فهي تنتج سنويا بموجب تلك الاحصائية ٣٨٠ الف طن وتاتي بعدها العراق ومصر حيث تنتج كل واحدة منهما ٣٣٠ الف طن ثم ايران حيث تنتج ٢٨١ الف طن وتاتي في المرتبة الرابعة الجزائر والباكستان حيث تنتج كل منهما ١٥٠ الف طن وقد اثبتت هذه الاحصائية التي اوردناها هنا في كتاب منظمة الاغذية والزراعة الدولية الدوري (سيرز) الذي يصدر كل شهرين مرة واحدة وعلى الصفحة التاسعة عشرة العدد الثاني من المجلد الثالث الصادر في شهري مارس وابريل عام ١٩٧٠ م .

٧٧ – وفي السطر الثالث من نفس الصفحة (١٠٠) جاء قوله : « والجمهورية العربية المتحدة (١٠) ملاين نخلة بينما يبلغ تعداد النخيل في المملكة ... الخ » وكلما بينما هنا لا داعي لها .

٧٨ – وعلى الصفحة (١٠٢) جاء ذكر المساحات التي تتكون منها المملكة العربية السعودية موزعة على فئات مختلفة تبتدىء من المساحة الاجمالية ثم المساحة المستغلة وغير المستغلة وقد ذكرها بالكيلات ثم بالهكتار ثم بالدونم وكانه بتكراره لهذه الارقام يعطي دروسا للاطفال في المرحلة الابتدائية وفي رأيي انه لا داعي لتكرار هذه الارقام بهذه الصورة وانما يكفي ان يقوس شرحا بسيطا يشير فيه الى ان الكيل الواحد يعادل كذا هكتارا وكذا دونما .

٧٩ – وعلى نفس الصفحة ايضا جاءت الاغلاط التالية : ففي

خماسيات شعرية

ما فـي الزعامة ان صفت اهدافهـا
وتنـزهت اغراضهـا مــن بـاس
لكـن اذا امسخت مطيـة اشعـب
فثمـارهـا للقاطفـين مآسـي
يـا مـن يرشـح للزعامـة نفسـه
لا تـركبـن مـراكـب الخنـاس
بمكـارم الاخلاق تبلـغ كـل مـا
ترجـوه ، لا بهـراوة ومـداس
شر مـن الفـوضى علـى علاتهـا
شرع يقـوم علـى امتهـان النـاس

بوانس ايريس ـ الارجنتين   زكي قنصل

السطر الثاني عشر جاءت كلمة (يتبين) والصواب (تتبين) لان المقصود هنا الاهمية والضرورة . وفي السطر العشرين جاءت كلمة : (اتضح) والصواب (اتضحت) لان المقصود هنا الحقائق .

٨٠ ـ وفي السطر السادس والعشرين جاءت كلمة : (تم دراستها) والصواب (تمت دراستها) وبعد هذه الكلمة مباشرة جاءت كلمـة : (ليس هناك) والصواب (ليست هناك) وفي السطر السابع والعشرين جاء قوله : (اما المنطقتين الباقيتين) والصواب (امـا المنطقتـان الباقيتان) .

٨١ ـ وفي الصفحة (١٠٣) وعلى السطر الرابع والعشرين جـاء قوله : (وسيسلم الجزء الباقي) فاذا كان يقصد الى الشركة فـان المفروض ان يقول (لها) واذا كان يقصد الابار فانه ينبغي ان يقـول (منها) وفي نفس السطر جاء قوله : (يصعب ادارتهـا) والصواب (تصعب) وفي السطر السادس والعشرين جاء قوله : (تحلية ميـاه البحر الملحة) والصواب : (الملح ، لانه يقال : ماء ملح ، ولا يقـال مالح ولا ملحه) ، قال الله عز وجل : « هذا عذب فرات سائغ شرابه، وهذا ملح اجاج » وفي السطر الاخير من هـذه الصفحة جاء قولـه : (يمكن ان تولدان) والصواب (تولدا) .

٨٢ ـ وفي بداية الصفحة (١٠٦) جاء قوله : « يجـري امداد ست مدن واقعة على الخليج العربي بالمياه عن طريق تحلية المياه الملحة» والمفروض ان يقول سيجري لانه في الواقع لم يتم تنفيذ المشروع حتـى الان . وفي السطر التاسع من نفس الصفحة جاء قوله : (على التوالي) وهذه لا داعي لها اطلاقا حيث لم يرد تفصيل ومقابلة .

٨٣ ـ وعلى الصفحة (١٠٨) جاء قوله : « انه سوف تضاف الى المساحة المزروعة في الاحساء اكثـر مـن ١٣ الف هكتـار » والمعروف ان الارض المزروعة حاليا هي ثمانية الاف هكتار وان الاضافة ستكـون ١٢ الف هكتار ومعلوماته هذه على عدم صحتها تناقض نفس المعلومـات التي اثبتها على الصفحة (١١٤) حيث قـال : ان رقعة الزراعـة بالاحساء سوف تتوسع من ستة الاف الى عشرين الف هكتار وهذا يعني انه ستضاف الى المساحة الحالية مساحة اربعة عشر الف هكتار وهذا ينافي الواقع .

٨٤ ـ وعلى نفس الصفحة (١٠٨) جـاء قوله : وفي المنطقـة الخامسة : « وهي هضبة نجد تتوفر مياه لاضافة اراضي زراعية في كل من الخرج ـ الدلم ـ الافلاج ... الخ » ويظهر من قوله هـذا بانـه لا يعرف ان الدلم قرية من قرى الخرج الكبيرة وقـد يقصد في كلمـة الخرج (السيح) التي هي قاعدة الخرج .

٨٥ ـ وفي الصفحة (١١٠) جاء قوله : « ٦ ـ استقرار الباديـة وتحول افرادها تدريجيا الى مزراعين مستقرين في مجموعات او في هجر زراعية حديثة يكون في الاراضي التي تزرع سابقا » وهـذا تعبير ركيـك مكرور كما هي عادة المؤلف .

٨٦ ـ وفي الصفحة (١١٥) وفي السطر السابع جاء قوله : (كما انه جرى) والصواب (جرت) وفي نفس السطر ايضا جاء قوله : (ولا يقتصر) والصواب (ولا تقتصر) .

٨٧ ـ وفي السطر الثاني والثلاثين من نفس الصفحة رقـم (١١٥) جاء قوله : « انتاج شتلات الاشجـار الخشبيـة بفرض » والصواب لغـرض .

٨٨ ـ وفي الصفحة (١١٨) جـاء قولـه : « في مسـاحـة قدرها ٤٢٠ هكتارا ولاجراء التجارب » والصواب لاجـراء التجارب بـدون حرف الواو .

٨٩ ـ وفي الصفحة (١١٩) اثبت الخارطة رقم (٢٧) وقال انها توضح توزيع فروع وزارة الزراعة والمياه المقترحة وفي الواقع انه لـم يشر اطلاقا الى ان هناك خارطة مقترحة في الكتاب ولم يوضح من الذي اقترح هذه الخارطة هل هو اقتراح مقدم منه أم ان السياسة العامة في الوزارة هي التي اقرت مثل ذلك الاقتراح وبتصفح الخارطة تبين انه اثبت عليها فروع وزارة الزراعة والمياه القائمة فعلا ولم يشر اطلاقا الى ان هناك فروعا مقترحة كما ذكر وهذا نموذج من نماذج الخلط لـدى المؤلف .

٩٠ ـ وفي الصفحة (١٢٢) (وهي آخر صفحات الكتاب) وضع المؤلف عنوانا للمراجع باللغة الانجليزية ترجمته (المراجع الاجنبيـة) وهذا في رأينا تعبير خاطىء الا اذا كـان يقصد بالاجنبية هنا اللغـة الاجنبية لان مراجعه هي ما عـدا الاول والثامن دراسات قامت بهـا مؤسسات وشركات تعاقدت معها وزارة الزراعـة والمياه فهي بالتالـي تقارير ودراسات لوزارة الزراعة والمياه السعودية وليست اجنبية كما ذكر المؤلف اذ ان المرجع رقم (٢) ما هو الا التقرير النهائي لشركـة بارسون بيزل عن المنطقة الاولى حسب تقسيم وزارة الزراعة للمملكـة الى مناطق عند اجراء المسح اما المرجعان رقـم (٣) ، (٤) فهمـا التقارير النهائية لشركة ايطال كونسلت عـن المناطق (٢) ، (٣) ، (٤) واما المرجعان رقم (٥) ، (٦) فهما التقريران النهائيان لشركة سوغريا عن المنطقتين الخامسة والسادسة والمرجع رقم (٧) هو خطوط عريضة عن المياه الجوفية في المملكة اعد من قبل الدكتور غالب اوتكـن كبير الجولوجيين بوزارة الزراعة والمياه . والمرجع التاسع هو مجموعة تقارير مقدمة من قبل خبراء معهد ستانفورد للابحاث بموجب عقد مـع وزارة الزراعة والمياه .

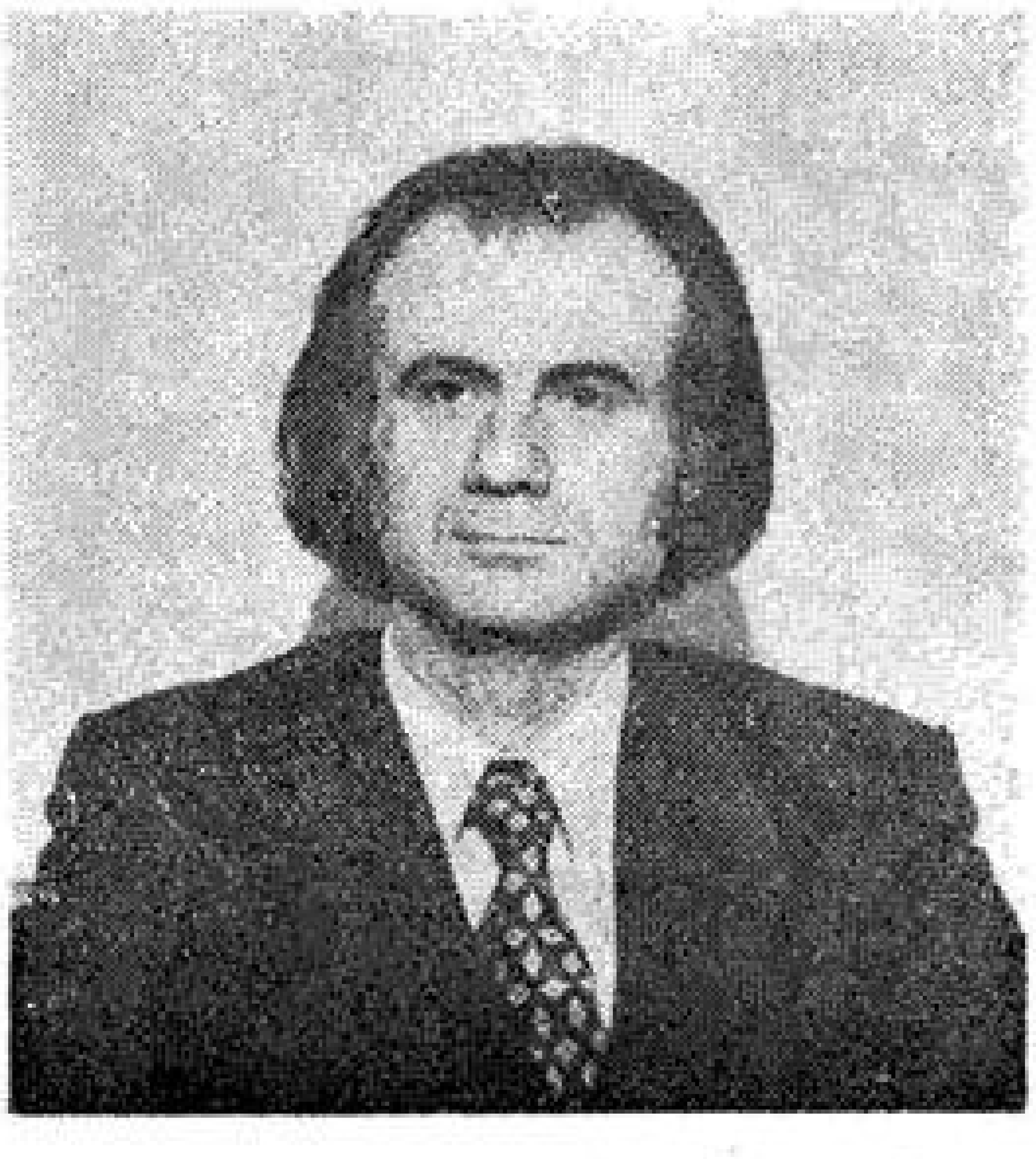
وبعد .. فلعل بعض القارئين لا يرى الموضوع يستحق كل هـذه العناية في الاحتجاج على هذا الخلط لدى المؤلف بين المعلومات التـي جمعها من هنا وهناك وعدم معرفته لها ولكن ما عسى ان نصنع غير هذا في شأن من شؤون التاليف يفرض التعمق والاستدلال والاستقصاء وينكر ارسال الرأي من غير براهينه واذا لم يظفر موضوع التنمية الزراعيـة مدار البحث بشيء جديد يضاف اليه ، فقد ظفر التحقيق الجغرافي والتاريخي واللغوي بهذه التصويبات اما ما يتعلق بموضوع المـاء ، والتربة ، والاقتصاد ، فاني اترك الحديث فيه لاهله ، ورحم اللـه امرأ انتهى الى ما علم .

الرياض   عبد العزيز الربيعي

احبك بمطلق الانانيه

نهـــاد رضـــا

دمشـــــق



لا تدعيني أبدا .. نحو الخلجان الرمليه
لا تغريني .. بنداءات الاحلام الأنسيه
ان كـان البحـر سيبلعني
فانا مجنون لا أخشى الغرقا
أو كـان المـوج سيجرفني ..
نحـو الشطـآن الصخريـه ..
فـلأن حياتي قـد ختمت
ومن المكتوب لنـا أن نفترقا ..

هذي الاوهام العاديـه
بحبيب يبكـي ويغـار
ويلبـي القلب وينـدار
معناها .. مسخي في الاشكال الارضيه
قتلي ، عبثـا ، بسهام وحشيه
مـن أجـل ميـول سطحيه

هـذي الاحـلام الورديـه
بحياة في القفص الذهبي
ونعيم مـن نسج الأرب
معناها .. موتي قبل الموت
قتلي ، عبثا ، بحياة شكليه
بخيـوط وديـه

ساحبك حبا مجنونا .. يرضي ذاتي
لا شيء سوى ذاتـي ..
يرضي أغواري المطويـه
ابعـادي السحريـه
ان كنت المحبوبـه
حتما .. سأراك هناك
فـي سـر قراراتـي
هـل انـت سوى ذاتـي ؟

قصة

الشيخ والارض

بقلم عبد الحميد الانشاصي

مصطفى شيخ في السبعين من عمره ، ملابسه بسيطة مؤلفة من قنباز ومعطف غير منسجم مع جسمه ، وزنار غليظ يطوق خصره الغليظ ، وعمامة ثقيلة يحملها راسه المثقل بتجارب الحياة وهمومها . اسارير جبهته معقدة من كثرة الدعك الذي اصابها من يد الزمان. وتقاطيع وجهه عميقة ومتقبضة كأنها آثار جروح خلفتها فيه معركة حامية الوطيس . يداه خشنتان وقويتان من كثرة العمل كأنهما رجلان . وشارباه الكثان طليقان ، وكذلك لحيته البيضاء وشعر صدره النابت كالعشب البري على صدره الصلب.

(الشيخ مصطفى فيه الشيء الكثير من عادات الجيل الماضي وتقاليده وجموده وبساطته . ولكن فيه ايضا مزايا اخرى يتحلى بها وهي الجد وتحمل المشقات واخلاصه للارض التي انبتته وثورته على الاخلاق الفاسدة والخلاعة والاهمال وهذه الصفات كلها ورثها عن الجيل الماضي ، وهو يفخر بأنه متمسك بها) .

رأته زوجته رؤوفة قادما من البستان يخطو خطوات مترنحة وهو يلف تبغا في ورقة سيجارة بأصابعه الغليظة الخشنة ، فوقفت في مكانها تراقبه في تأمل حتى دنا منها . تنهدت ثم قالت بصوت حزين :

— ماذا جرى لك يا ابا محمود ؟ مشيتك بطيئة .

(لقد هرمت في سرعة) .

فرفع مصطفى وجهه عن كفيه المشغولتين باللف ، وصوب نظرة مستغربة الى زوجته ثم قال :

— ماذا تعنين ؟ لم يجر لي شيء .

(انني لا اريد ان اسمع كلاما كهذا) .

مالت رؤوفة براسها الى جانب ، وقالت بنغمة رخوة :

— كيف حال البستان ؟ اراض انت عنه ؟

(لا شك انك تعبت من العمل فيه فانت شيخ الان) .

فهز مصطفى راسه في اسى واجاب :

— البستان ؟

ثم صمت قليلا ، وبعد لأي واصل كلامه :

— انه ليس بستانا الان . بستاننا اليوم غير بستاننا في الامس ، ألم تلاحظي ذلك ؟

فقالت متجاهلة ما يعنيه زوجها :

— ماذا جرى لبستاننا ؟

(أنه الان يعطي كمية من التمر تعادل الكمية التي كان يعطيها من قبل) .

بصق على الارض في قوة ثم اجاب :

— ان بستاننا يفتقر الى اليد العاملة . انا وحدي لا استطيع ان افعل كل شيء : احرث واشذب الاشجار واقتلع الاعشاب واقطف الفواكه والخضروات وابيعها في الاسواق . هذا كثير علي . لقد شخت الان وتسربت مني قواي . وقد تخلى عني ولدنا محمود وابنتنا سميحة ، فهما يعملان الان في المصانع الاسرائيلية . وبذلك غدوت وحيدا .

فتنهدت رؤوفة مرة ثانية ثم قالت :

— ان راتبي ولدنا وابنتنا يربي على ما يعود علينا من البستان بكثير . (ان الارض لا قيمة لها الان) .

فنظر مصطفى الى زوجته شزرا ، كادت نظرته تغمص عينيها من قوتها وحدتها . قال بنغمة حازمة صارمة :

— لقد غرتك النقود التي يلقيها ولدانا في ايدينا . ان هذه النقود زائلة مهما دامت وقليلة مهما كثرت. اما الارض فكنز ثمين لا ينفد .

— ولكن كثيرين من القرويين فعلوا ما فعلنا . ان اولادهم كلهم يعملون في المصانع الاسرائيلية الان، ولو لم يفعلوا ذلك لماتوا جوعا . ان اثمان الخضروات والفواكه التي يجود بها البستان علينا لا تفي بنفقات المأكل وحده .

(اننا الان في نعيم ولله الحمد وان كنت انت وحدك غير راض عن ذلك) .

— كفى ! كفى ! صمتك خير من كلامك . انت التي شجعت ولدينا على العمل في المصانع . انت التي جنيت علينا .

(من الخسارة ان اكون زوجا لك) .

— جنيت ؟ انا جنيت على اسرتنا؟ ماذا فعلت حتى جنيت عليكم ؟

(ان الاكتفاء بواردات البستان هو الجناية الحقيقية) .

فمد مصطفى يده واتى حركة عصبية كأنه دفع شيئا مؤذيا لا يرى ثم اجاب :

— لقد افسدت ولدينا . انهما الان غيرهما في الامس . انهمكا في الخلاعة من حيث لا تدرين . انك نائمة . نائمة . جلبت على اسرتنا الخراب والدمار .

(اتمنى لو قتلتك واسترحت من شرك) .

كانت كلماته متلاحقة تتجه من فمه الضخم الى اذنها المختبىء نصفها في شعرها ، على عجلات خفية من فولاذ مقعقعة راعدة

مسرعة ، فاخترقت اذنها ثم استقرت في رأسها كرصاصة ضخمة . ومن شدة خوفها وألمها وحزنها لم تستطع ان تفتح فمها وتنطق بكلمة . وبذلك تركت له مجالا للكلام ، فقال بنفس النغمة المقعقعة الراعدة :

ـ لقد خسرنا كل شيء : خسرنا ولدينا وناتج اشجارنا ومزروعاتنا . وغدا نخسر ارضنا : املنا الوحيد الذي بقي لنا .

وكانت رؤوفة تصغي مشغولة البال مطبقة الشفتين . وواصل مصطفى كلامه قائلا :

ـ سأريك اليوم ما لم يخطر في بالك ابدا . ستعرفين الحقيقة التي لا شك فيها ، وبعد ذلك تعترفين انني مصيب في كلامي الذي سمعته مني الان .

(انصرفي يا غبية ولا تريني وجهك !)

قبيل المغرب اقبل محمود عائدا من مصنع البسكوت ، وكان يمشي في بطء محافظا على شكل شعر رأسه الغزير المشوط في دقة وعناية والمسترسل الى كتفيه استرسال شعر النساء . وقد لاحظ مصطفى انه كان يترنح في مشيته ، ولولا تماسكه لوقع على الارض بعد ان عثرت قدمه بحجر . ولما رآه مصطفى هز رأسه متألما ، ولبث صامتا حتى اقترب ابنه منه فقال له :

ـ ما بك يا محمود ؟ أمريض انت ؟

(اخشى ان تكون مخمورا) .

فأجاب محمود :

ـ مريض ؟ كلا . انني لا اشكو شيئا .

ـ ابدا ؟

(في اعتقادي انك تكذب) .

وادنى مصطفى انفه من فم ابنه ، واخذ يتشمم ثم قال :

ـ ما هذه الرائحة ؟

(انها رائحة تبغ) .

ـ رائحة ؟ رائحة ماذا يا ابي ؟

ثم ادنى مصطفى انفه من فم محمود مرة ثانية ، وراح يتشمم متمهلا ، وبعد ذلك قال في اشمئزاز :

ـ هناك رائحة اخرى . رائحة تبغ ورائحة خمر ـ « عرق » .

(آه يا خليع ! آه يا فاجر !)

وحدق مصطفى الى عيني ابنه محرقا اسنانه في صمت . فقال محمود زائغ البصر في ضعف :

ـ انا ادخن واسكر !؟

(لقد حزرت يا ابي) .

وهنا صاح مصطفى مناديا زوجته ... فجاءت رؤوفة على عجل . قال



عبد الحميد الانشاصي

●

لها زوجها مشيرا الى ابنه وقد جالت على وجهه ابتسامة ساخرة متألمة :

ـ اقتربي وشمي نفس ولدك .

فقالت رؤوفة مستغربة :

ـ لماذا ؟ ما اربك ؟

ـ اريد ان ابرهن لك على ان محمودا منغمس في الشهوات .

واخذت رؤوفة تشم فم ابنها . وبعد قليل من التفكير قالت لزوجها:

ـ هناك رائحة غريبة لست ادري ما هي .

فقال مصطفى في هدوء :

ـ الا تدرين ما هي تلك الرائحة التي شممتها ؟

(انك معذورة لانك لم تدخني التبغ ولم تشربي الخمر في حياتك ابدا) . ثم صاح بوجهها وبوجه ابنه :

ـ انها رائحة الخمر ورائحة التبغ . ابنك يدخن السجائر ويشرب المسكرات . هل فهمت الان كل شيء ؟ هل عرفت الحقيقة التي كانت خافية عليك ؟ ألم انبئك من قبل ان ولدينا فسدت اخلاقهما ؟ هل صدقتني الان ؟

ثم صفع ابنه على خديه عدة صفعات وقال له :

ـ انصرف ! انك لا تستحق ان تكون ولدا لي . انه ليحزنني ان اكون والدا لك . ولم يكد محمود بضع خطوات حتى قال له ابوه بصوت جهوري :

ـ ألم تر اختك في طريقك ؟

ـ كلا .

ـ متى تعود الينا ؟

ـ لست ادري .

همت رؤوفة بأن تذهب لقضاء بعض حاجات الدار فاستبقاها مصطفى قائلا :

ـ لا تذهبي الان . ابقي هنا حتى تعود سميحة .

لبث الزوجان في مكانهما جالسين ، وراحا يتحدثان عن ابنهما حتى حل المساء وانتشر الظلام وبعد ذلك جاءت سميحة . كانت مرتدية بنطلونا ضيقا اعلاه وواسعا اسفله ، وكان ينبعث من ثيابها عطر قوي . وكانت مكحولة العينين محمرة الشفتين . وقد اشرق وجهها بالمجملات على الرغم من الظلام المحدق به .

فأومأ اليها مصطفى برأسه قائلا لزوجته :

ـ الا تشمين العطر المنبعث منها ؟

(ان البنات المهذبات لا يفعلن ذلك في مثل هذه الساعة من

الليل) .

ثم وقف واقترب من ابنته في قوة قائلا :

ــ اين كنت ؟

(يا فاسقة !)

ــ في المصنع .

(كنت احادث رفيقا لي) .

ــ في المصنع ؟! قضيت كل هذا الوقت في المصنع ؟! انك كاذبة واكذب من كاذبة .

قال ذلك بنغمة مجلجلة انخلع قلب سميحة منها خوفا . ثم صفعها اربع صفعات أسالت الدم من بين اسنانها ، ومضت مسرعة وهي تبكي . وقذف وراءها هذه الكلمات :

ــ اياك ان تعودي الى المصنع ! انا لا اسمح ان تسلك ابنتي هذا السلوك الشائن . ثم التفت الى زوجته قائلا :

ــ أراضية انت عن سلوك ابنتك الان ؟ أجيبي ! هلا تعترفين الان انك مجرمة ؟

ولكن سميحة لم تلبث ان عاودت العمل في المصنع . انها لا تستطيع ان تبقى في الدار بلا عمل . لقد تعودت مزاولة عملها في مصنع السجائر والتحدث الى زميلاتها وزملائها هناك . لقد نسيت الحياة في القرية والعمل في الارض . اصبحت الان منتمية الى المدنية . وقد الفت اخلاق المدنيين وعاداتهم ووجدت السعادة في معاشرتهم ومشاركتهم في متع الحياة . لذا اقبلت على امها راجية متذللة وهي تحثها على اقناع ابيها باعادتها الى المصنع . فلم تجد امها بدا من ان تحقق رغبتها . وهكذا استمرت سميحة على الانغماس في اللهو الذي الفته في خارج قريتها .

ولكن مصطفى ما زال ساخطا على ولديه . انه لم يطق رؤيتهما ومحادثتهما . وكان يقضي معظم لياليه في دار ابن اخيه وهو زوج ابنته الكبيرة . هناك كان يتحدث في غبطة وسرور اذ كان ابن اخيه يحب الارض كما يحبها هو ويواطئه على منع ابنه وابنته من العمل في المصانع الاسرائيلية . وكان كلما سمع ابنه يلقي عليه سؤالا او يعلق بكلامه على شيء ادار وجهه عنه وراح يحادث ابنته الكبيرة او زوجها او يداعب طفلهما الصغير ويخصه بعطفه وحنانه واهتمامه . وكان ذلك سببا في اثارة نفور محمود وسميحة من والدهما .

اما النهار فقدكان مصطفى يقضيه في البستان متفقدا الاشجار قاطفا الثمار . وكان من حين الى اخر يلقي نظرات متأملة على الخضروات والمزروعات فيشعر بغم في صدره ويأس من تقدمه ونجاحه ، اذ تبين له ان الخضروات نبتت بينها اعشاب برية كثيرة شاركتها في استمداد غذائها من الارض . وكانت ابنته من قبل تقتلع تلك الاعشاب من الارض. وهو الان مشغول عن ذلك باعمال اخرى كفلاحة الارض وتشذيب الاشجار وقطف الاثمار . لم يجد متسعا من الوقت ولا زيادة من القوة لاستعمالهما في القيام باكثر مما يستطيع ان يضطلع به من الاعمال .

وكثيرا ما كان يفكر في ماضيه وحاضره ومستقبله فينتهي الى فكرة واحدة وهي ان الجهود التي بذلها في اصلاح بستانه حتى ترعرع وازدهر قد ذهبت كلها ادراج الرياح وان حاضره لا يمهد لمستقبل خير من ماضيه . ومما آلمه ان يرى شجرة من اشجار اللوز الضافية الظل الكثيرة الثمر قد تسرب اليها الدود ، وراح ينخر في جذعها واغصانها حتى سلبها الحياة فتحولت الى عيدان جافة .

وكان يعمل من قبل في نشاط وامل مطلقا صوته الجهوري في اوقات الاستراحة القصيرة بالغناء . اما الان فهو يعمل في صمت مصغيا الى صوت جاره العذب الذي ينبعث من بستان مجاور لبستانه . كثيرا ما ذكره ذلك الصوت الشجي بصوته هو في ايام سعادته فتنهد وتألم .

ومن شدة تألمه ويأسه شعر بضعف في يديه وهو يعمل بفأسه ، ووهن في رجليه وهو يتجول في البستان متنقلا من مكان الى آخر . وكل بصره فصارت حرارة شمس الظهيرة تؤثر فيه ، وراح يمسح العرق عن عينيه الملتهبتين في صمت وهدوء .

وفي بعض الاحيان كان يمر ببعض الاشجار فيرى اثمارها الناضجة منتشرة على الارض وقد علاها العفن ، ويمر ببعض الخضروات وقد كبرت ويبست من تقدمها في النمو دون ان تمتد يد لقطفها .

لم يكن في البستان احد يأمره او يرشده او يقدم اليه مساعدة في شيء . شعر بالوحدة تهدم الحيوية في جسمه وفي البستان . كان من قبل يسمع صوته وهو ينادي ابنه او ابنته . اما الان فهو يستمع الى تغريد الطيور وهي تتنقل في حرية على اغصان اشجار بستانه وبين خضرواته ناقرة آكلة . كأن البستان خال من اهله .

وكان يفكر في مصيره . ماذا يحدث لبستانه بعد موته ؟ لا شك ان الورثة لا يجدون بدا من بيعه . ومن يشتريه ؟ الاعداء . ان الارض التي لا يعمل فيها اصحابها تكون عبئا ثقيلا عليهم . لقد استبدلوا بها المصنع وآثروا العمل فيه على العمل فيها . وبعد ذلك تصغر بقعة ملكتهم وتضحي دارا صغيرة متواضعة بعد ان كانت ارضا واسعة ودارا . ومن يدري ؟ فقد تهدم داره كما هدمت دور غيره في قرى غير قريته وينزحون عنها الى خارج البلاد .

ظل مصطفى متشبثا بارضه على الرغم مما اصابه من يأس وحزن . انها هي التي امدته وامدت والده واجداده من قبله بالغذاء والمال . لذا

ذهب الشباب

ذهب الشباب ولا مرد | ومضى وما للحب عهد
وشراع ايامي تصرم | حبله وهو الاشد
امسي على مضض ولا | أدري الغداة بما يجد
فتش تجد خلف الضلوع | من الضنى ما لا يحد
ماذا جنيت لدى الزمان | من الذنوب فيستبد
ام ما حباني في الحياة | من النعيم فيسترد
بؤس وحرمان وآلام | وأوصاب تهد
ما هكذا ترضى المروءة | للألى بالحق جدوا

قد ذقت من غير الزمان | لدى النوى ما لا يعد
امشي ولا ادري الى | اي المسالك بي يشد
روح تضيق بها الحياة | وهيكل للرمس يعدو
اين الوهاد الفيح نغمرها | ضحى نعدو ونغدو
والروح رنحها النسيم | وعطر الارجاء رند
وعرائس الاطيار تمرح | في الربى ، جذلى ، وتشدو
والغانيات يمسن في | غنج الصبا والصحب حشد
نصغي الى العاصي يلاطف | شطه جزر ومد

يا رب جد الق الربوع | بمن احب ومن أود
أبكي الديار ولا أرى | من ذا علي أسى يرد
فغدا اذا جاز الاياب | وحان لي للعود وعد
أرسلت وابل ادمعي | منك الشفاعة استمد
ومضيت يحدوني الغداة | اليك شكران وحمد

الارجنتين — فائق جبور

رأى ان من واجبه ان يكون مخلصا لها اخلاصه لابيه واخلاص ابيه لجده . لقد كانت الارض مصدر ارزاقهم . وكانوا مصدر العطف عليها والاهتمام بها كأنها مخلوق له فضل على غيره من المخلوقات التي قدم اليها المال والغذاء .

وهو الان يحب الارض اكثر مما كان يحبها من قبل لان زوجته وولديه لا يشاركانه في التمسك بمبدئه وهو حب الارض والعناية بها . لم يبق له في هذه الحياة احد من افراد اسرته يكن له حبا واهتماما . لذلك وجه كل حبه واهتمامه الى الارض وحدها ـ ارض ابيه واجداده .

وفي ذات يوم تسلق شجرة من اشجار اللوز باسقة الاغصان كثيفة الفروع ليشذبها خشية ان يدب فيها الدود كما دب في شجرة مثلها من قبل وافقدها الحياة . وكان ماضيا في عمله في همة ونشاط وحماسة . غير انه تسلق اغصانا طرية وهو يشذب من حيث لا يدري . وانه لكذلك اذ زلت قدمه ، فتشبث بأحد تلك الاغصان . فانقصف فرع من ذلك الغصن في يده فهوى الى اسفل وقد لصق ظهره بالارض التي طالما احبها ، وهشم رأسه ، وسال الدم من فمه .

وفي ذلك اليوم قدم محمود ، وراح يبحث عن ابيه ليبشره بأن اجرته اليومية ازدادت ليرة . بحث عنه في الدار فلم يجده ، فذهب الى البستان واخذ ينادي بأعلى صوته وهو يتجول فيه . ولكن لم يرد عليه احد . واخيرا وقع بصره على ابيه وهو متمدد على الارض تحت شجرة اللوز وقد علا الدم فمه . فجمد في مكانه هلعا ، ثم أكب على ابيه ورفعه عن الارض ، وسأله ماذا جرى له . ولكن اباه قال بصوت خافت :

ـ لقد انتهيت يا بني . اعتن بالارض .

ثم افلتت قبضة يده فرع الغصن وهو الاثر الوحيد الذي احتفظ به من الشجرة التي غرسها واعتنى بها حتى كبرت . وبعد ذلك اغمض عينيه .

عمان — عبد الحميد الانشاصي

مكتبة الاديب



ميخائيل نعيمة بين قارئيه وعارفيه

تأليف كمدي فرهود كمدي ـ(؟) صفحة ـ مطبعة (؟)

لم يكن عنوان هذا الكتاب دليلا على محتواه ، وان دل على بعض ما فيه ، فهو دراسة نقدية جدية ، شائقة في التحليل والمرمى ، شائكة في استقصاء البحث ومراجعه ، كتبها الاديب المحامي كمدي فرهود كمدي قريب الاديب الكبير الذي كانت آراؤه ونظراته النقدية المتناقضة موضوع التمحيص والمقارنة في هذا الكتاب .

ولعل رسالة المحاماة التي حملها المؤلف الجريء وهو موهوب في الادب هي التي حفزته في هذه المسيرة للبحث عن الحقيقة والامساك بالحجة والبرهان لتأييدها في مجال لم يتفرغ له من قبل فاختار لهذه الدراسة اسما ضخما ورأيا متنقلا لاديب من اهله ووطنه اسبغ عليه نبوغه وسبقه اجلالا ووقارا ، اذ كان ميخائيل نعيمة ثالث ثلاثة من ادباء لبنان برزوا في النصف الاول من هذا القرن بعبقريات شع نورها وذكرها في آثارهم واخبارهم وعبرت في مقالاتهم ورحلاتهم عن اشواقهم للحرية والجمال وتطلع بلادهم للوعي والعدل والحضارة في هبات العروبة للسيادة القومية والوطنية ، فشرق هؤلاء الرواد وغربوا في ادبهم وتجوالهم ، ولفتوا الانظار والافكار الى ما جاء في صيحاتهم من ثورة على القديم التافه والجديد النافع في التحرر من التخلف والجمود ، وقد غاب اثنان منهم قبل الخمسين من هذا العصر هما جبران خليل جبران وامين الريحاني ، وبقي ثالثهم ميخائيل نعيمة مد الله عمره وفضله فقد اجمع النقاد والباحثون على ان هؤلاء الادباء الثلاثة تركوا دويا في ادبنا المعاصر ، على ان الاستاذ ميخائيل نعيمة كان يختلف عن صديقيه ونديه في المزاج والاتجاه في حياته وثقافته وفي ادبه ورسالته ، ولم يكن يعبأ بالمطابقة بين رأيه وعمله احيانا ، فاتخذ الاديب مؤلف هذا الكتاب من هذا التناقض في آراء نعيمة موضوعا لهذه الدراسة النقدية الدقيقة لم يسبقه الى مثلها في التجرد والتمحيص اديب او ناقد .

لقد الف الاستاذ كمدي كمدي كتابه هذا غير متحرج من محبة قريبه واديبه المفضل ، فالحقيقة كانت لديه احب واقرب ، والاستاذ ميخائيل نعيمة هو اليوم في شيخوخة شامخة بشباب الحياة في انسان متفوق متجدد الفكر والشعور هادىء البال ، في وسعه تبيان ما لابس آراءه ورافقها في التحول او التبدل ، ولا يزال يمد القارىء المثقف والمكتبة العربية الحديثة بروائع ادبه وتاملاته في المقال والقصيدة والقصة ، دون ان تمتد اليها الاعين والعقول بنقد او رد ، او تساؤل وملاحظة ، في آرائه المتضاربة التي لقيت العجب والغضب في نقده صديق العمر والغربة جبران خليل جبران بعد موته بقليل ، وفي نقد الريحاني الامين رسول الفكرة العربية والتحررية ، دون ان يتصدى لقارئيه وعارفيه بما تقولوا عليه في نقض آرائه وقد اجاز لنفسه ما لم يتجاوز عنه في غيره ، فهل كان الوقار النعيمي بعد غضبات الرواد من النقاد يمسك بالاقلام المرجوة بمدهم عن الاشارة الى ما جاء من التناقض في مقالاته ومؤلفاته ؟

رأى الاستاذ كمدي كمدي هذه الامور المحيرة الجائرة فوقف عندها في دراسته محاورا ومتسائلا ، وكان يعجب فلتت من اقلام المتتبعين والمحصين ، فآسفه ان تبقى ساحة النقد خالية من المتمرسين بالبحث والتقويم ، تعيث فيها فسادا وحقدا اقلام الذين يجربون اقلامهم لمزا وتشهيرا بمن تقدموهم وملقا لمن يهدهدون انفسهم التي تضج بالغرور فبادر الى هذه الدراسة النقدية بعد ان اودع دفاتره واوراقه ملاحظاته وانطباعاته كلما قرأ كتابا لقريبه واديبه الاستاذ ميخائيل نعيمة

وكانت مؤلفات الرائد الناقد تترى في قضايا الكون والطبيعة من خلال نظراته وفي كتب وشخصيات انسابت فيها افكاره كما انساب تعبيره ، فاذا قورنت بما جاء بعدها بدا فيها التناقض والتفاوت .

ففي كتابه الاول ((الغربال)) بدأ الاستاذ نعيمة حياته الادبية ناقدا على طريقته ، لكنه قال : ((ان النقد للاديب كالهواء والماء والغذاء وان فضل الناقد لا ينحصر في التمحيص والتقويم والتنسيق ، فهو مبدع ومولد ومبشر ومرشد)) .

((ولئن كان حظ النقاد ضئيلا في الحياة لانهم لا يسعون الى مرضاة الناس فان القوي منهم المخلص للحق لا يعبأ بالرضى او الغضب ، لانه يقوم برسالة هي من اهم الرسالات في الحياة ، فالغربلة من سنة الطبيعة ، والطبيعة نفسها اكبر مغربل)) .

فهل طبق الناقد نعيمة قوله هذا على نفسه في نقد غيره ؟ وهل قام برسالة الغربلة والمغربل ؟

لقد قال بعد سنين في كتابه ((مرداد)) ص ٥٤ و ٦٥ : ((اياكم والغربلة يا رفاقي ، لان كلمة الله هي الحياة ، والحياة هي بوتقة متوازنة ابدا ، اياكم والغربلة ، اطلبوا أولا معرفة الكلمة كيما يتاح لكم ان تعرفوا كلمتكم فانتم اذا ما عرفتم كلمتكم القيتم بغرابيلكم في النار لأن كلمتكم واحدة)) .

فهل القى الناقد الرائد كتابه ((الغربال)) في النار وهو الذي حمل المنخل في نقد صديقيه جبران والريحاني ، وقد شف نقده عن طويته التي عبر عنها الادباء الذين جبهوه بالحقيقة وتتبعوا آراءه في الكتب والشخصيات من خلال ذاته ونظراته ، كما رجعوا الى القديم منها في القضايا العربية ، وقد عاد اليها مؤلف هذه الدراسة النقدية باحثا عن الحقيقة والمطابقة بين ما قام به نعيمة او دعا اليه فوجد بعضه يناقض بعضا آخر ، وقد آسفه **ان لا يؤمن الناقد الرائد بتراث العرب** ونوابغهم قائلا في كتبه : ((اي فكر جديد اودعه العقل العربي في خزانة الآداب العمومية ؟ وأي تمثال او صورة اقامهما في متاحف الفنون فلفتت اليها الابصار واية نغمة لفظتها روحه فحركت اوتار القلوب ؟ واية بناية شادها او مشروع قام به فاوقف العالم متحيرا ؟))

كما ان الاستاذ ميخائيل نعيمة لم يجد ((في المتنبي والمعري وشوقي ومطران وجبران والريحاني من هو جدير بان يرقى الى مصاف دانت وشكسبير وزولا وتولستوي وغيرهم)) فتناول مؤلف هذه الدراسة رأي نعيمة في تراث العرب ونوابغهم في القديم الحديث ، ملتمسا له المعاذير في تجافيه هذا واستهانته بالثقافة العربية قائلا :

((ان رائدنا في ادبنا الحديث قد استغرق في ثقافة الغرب وحدها متوغلا في متاهات الخيال والمذاهب الفكرية المتناقضة ، ولو عرف الاستاذ نعيمة الثقافة العربية والاسلامية وعب من مناهلها لغير رأيه فيها وفيمن حملوا الجوهر منها حتى شع في اعلامها وآثارهم التي لم يقرأها)) .

على ان في تغيير رأيه فضيلة وليس فيه تناقض ، فما اجدر الاستاذ كمدي بدراسة ثانية لهذه الآراء الجاحدة وشكرا له فقد استجاب

لدعوة الحقيقة والتاريخ في كتابه الصريح

دمشق — وداد سكاكيني

•

الشيخ طاهر الجزائري

رائد النهضة العلمية في بلاد الشام

تأليف الدكتور عدنان الخطيب ١٨٣ صفحة ـ محاضرات في معهد البحوث والدراسات بالقاهرة

هششت للكتاب مذ قرات عنوانه « الشيخ طاهر الجزائري » ، فهذا رجل عظيم ينزل من تقديري اكرم منزل ، ويشغفني الحديث عنه . وهذا الولوع به يرجع الى مجالس كان يعطرها بذكره ذلك التقي النقي الكاتب الاكتب محب الدين الخطيب . ومحب الدين كان يؤثرني بالتوجيه والنصيحة ، وكان يمحضني العطف ، وكان يدعو لي بالتوفيق ـ ودعاء الصالحين زاد للمتقين ـ .

وكنت ولا ازال اشعر ان الشيخ طاهرا لم يستوف حقه من التمجيد بعد وفاته ، كما ان تلميذه محب الدين لم يول بعض حقه في حياته ، ولا اثارة من حقه بعد وفاته ! فليبارك الله كل من عظم الاستاذ والتلميذ ، كما بارك من كرم ابن تيمية وابن قيم الجوزيه .

وقد بلغ المؤلف الغاية في ما كتب عن مدرسة الشيخ طاهر وفي ما افاض به حديث عن اعلامها الذين بروا باستاذهم واخلصوا لذكراه . وله في هذا فضلان : فضل الاشادة بأثر العظيم واقامة البرهان الحي على مجادته بتلامذته ، وفضل التعريف والتنويه والاشادة بهؤلاء التلاميذ الاساتيذ ، ولو لم يكن من جميل صنيعه مع استاذه محمد كرد علي الا ما نقله الينا من تصويره نفسه وهو على عتبة الثمانين ، تلك الصورة الرائعة التي قال بعضهم : « انها صورة مجسمة لما كان عليه شيخه الجزائري في اكثر نواحيها » لكفاه ذلك آية بر به وتحنان عليه . انها قطعة بارعة ماتعة رتلتها ترتيلا ، على ان بعضها يصح فيه قوله : « ان التيار قد يقذف بالواقف في جريته الى مخاضات لا يختارها » .

واما صديقي واخي الكبير محب الدين الخطيب فالرأي ان المؤلف في ما كتب عنه ـ وان حرص على النصفة وشدا بالفضل ـ لم يوفه كل حقه ، فاين الحديث عن (السلفية) مكتبة وعن صاحبها ناشرا ؟ واين الحديث عن دوره في (الفتاة) و (اللامركزية) ؟ ان محب الدين من كبار كتاب العربية منذ كانت العربية ، وليت صديقنا المؤلف امتع القارىء برائعة من روائعه كما فعل مع الاستاذين كرد علي والباني ،واني لاذكر حين كنت اشترك في وضع كتب القراءة والمنتخبات للمطالعة والاستظهار في بغداد في اواخر الثلاثينات انني جملتها بالكثير من مقالات الخطيب في الاصلاح والقومية والاخلاق ، وكان الرافد الاول لتلك الميزة القومية والروحية والبيانية التي زودت بها تلاميذي . وهنا اقول استطرادا : انني في نقدي كتاب « الاتجاهات السياسية في العالم العربي » تأليف الدكتور مجيد خدوري قد لومت في غير هوادة مترجمه لذكره (مهيب الدين الخطيب) لانه ـ واخجلاه ـ لم يسمع بمحب الدين الخطيب !

وجاء اختيار المؤلف الشهيد سليما الجزائري في زمرة الالى تلمذوا له موفقا ، وما اكثر من يتساءلون ، وهم يدرسون فجر الفكرة العربية عن هذا الجزائري الحلاحل ومنشائه ، واني لاذكر حين كنت ادرس القضية العربية في العراق وفق منهاج وضع في عهد الملك فيصل الاول انني رحت اتصل بقدامى العاملين في الحركة العربية من رعيلها العراقي الاول واسالهم عن ذكرياتهم في اشراقتها فكانوا يقولون

انهم تلقنوها من سليم الجزائري . ولا يزال يحوك في صدري قول القائد الشهيد جعفر العسكري : « ان سليم الجزائري هو الذي غرس في نفسي الفكرة منذ كان يدرس التعبئة في المدرسة الحربية » . وليت صديقي المؤلف بعد ان اشار الى كونه شاعرا بحث عن شيء مما نظم ، وقد قرأت في كتاب « ايضاحات » الذي وضعه السفاح جمال باشا تسويغا لمجزرته ان نظارة الداخلية وقعت على نشيد لسليم بك الجزائري احد مؤسسي جمعية العهد وارسلته الى ديوان الحرب وهذا نصه :

لتدم هذه البنية	تنمو وتغدو صبية
ازفها شجاعا	فلا ترى مسبيه
تلدن كل همام	من فارس مقدام
يمزق الطغام	بهمة عربية
تلدن كل عزيز	يجود بالنفيس
يدق هام خسيس	بشجاعة وحمية الخ

وبعد فان لي ملحوظات لا ريب في ان صدر المؤلف الرحيب متسع لها : فهو يقول في الصفحة ١٦ : « ثم جاء بآخرة حكام لدولة بني عثمان حاولوا دك ما بقي من حضارة العرب ومحو ما لتراث الاسلام من مقومات » ، هذا اطلاق فيه شيء من التجني ، صحيح ان « الهرم دب في اوصال الدولة وان ادارتها قد اختلت وان الكفايات قد هدرت » ولكن الصحيح كذلك ان الدولة العثمانية ذاتها لم تدك حضارة العرب وانها هي لم تمح تراث الاسلام ، ولعلها هي التي صانته دون الغارات عليه ، وحسبي ان اردد هنا ما قاله المؤلف عن السلطان عبد الحميد ، ولم يجرفه تيار التحامل الجائر عليه ولم يؤخذ بقول حافظ ابراهيم عنه : « مشبع الحوت من لحوم البرايا » فصدع بالحق قائلا : « وقد ثبت اليوم ان عبد الحميد وقف موقفا حازما تجاه اصحاب المطامع في تمزيق دولة بني عثمان والقضاء على وحدة الاسلام من اجل استخلاص فلسطين ، حلم الصهيونية » .

وقال المؤلف تعليقا على رسالة الاستاذ الجزائري الى تلميذه كرد علي حول ترجمة الموسعات الاسلامية (ص ١٦١) : « ان المعتقد بان المذاكرة السرية التي يشير اليها الشيخ كانت في محفل ماسوني وان اسم السيد رشيد في الرسالة دليل على انه كان من المنتسبين الى الماسونية » وعندي ان سرية المذاكرة ليست برهانا على انها جرت في محفل ماسوني وليس محض ذكر رشيد رضا في المجتمعين كافيا للدلالة على ماسونيته ، فمن سياق الرسالة يستدل على ان الاستاذ الجزائري كان حريصا على سرية الموضوع حتى يكتب له النجاح وقوله لكرد علي : « فابحث في المسالة فيما بينكم وبين نفسكم ثم فيما بينكم وبين اخوانكم الذين يناسب البحث معهم في ذلك على صفة خاطر قد خطر .. وقوله في نهاية الرسالة : « وكان بعض الحاضرين يريد ان يجعل زمام الامر في يد الحكومة فطلبنا ان يكتم ذلك عنها فانه لا يؤمل ان تقدر عليه فان هذا الامر يحتاج الى الحكمة اكثر من احتياجه الى الحكومة ». ذلك يدل على طبيعة الحديث السري ولا يدل على الطابع الماسوني ، وما كنت لاوكد هذا لولا ان المؤلف قطع بهذه الرسالة على ماسونية الشيخ رشيد قطعا .

وقد وددت لو ان صديقنا لم يحذف لقب (باشا) من احمد زكي في حديثه عن الشيخ طاهر ، فالرجل عرف بهذا اللقب ، وكان هو يوقع مقالاته ورسائله بامضاء احمد زكي باشا وهذه (الباشاوية) التي تجاهى بها وحرص على لصوقها به تجاهيه باطلاقنا عليه لقب « شيخ العروبة » نفعتنا في تمييزه عن غيره ممن يحملون اسم احمد زكي ، وقد عرفنا أحامد ازكياء آخرين من اعلام العلم والقانون والسياسة ! وقديما ميزت الكنى والالقاب بعض الذين يحملون اسماء متشابهة عن بعضهم الاخر .

واشار المؤلف في (صفحة ١١١) الى « ان شيخنا كان يدون خلاصة ما يطلع عليه وزبدة ما يتوصل اليه في مذكرات ضمها مجلدان ضخمان.» ترى ما الذي يحول دون طبعهما ونشرهما ؟

وقد احسن ، احسن الدكتور عدنان وهو يتحدث عن الرجل المفكر بتنويهه بقيمة الرسائل الخاصة وايراده نماذج منها ارسلها الى الاستاذ كرد علي وغيره ، وليته اورد واحدة من رسائله النفيسة الى الامام المصلح جمال الدين القاسمي وهي منشورة في كتاب « جمال الدين القاسمي » الذي الفه ولده الاستاذ ظافر وفيه يصف جمال الدين الشيخ طاهرا بالشيخ المفيد والمرقي الوحيد .

وقال المؤلف : « ان كل ما كتب عن الافغاني لا يلقي ضوءا على تاريخ انتسابه الى الماسونية ومكان هذا الانتساب » ، ولعله يهمه ان يعلم ان الوثائق التي احتفظ بصور عنها تدل على ان الافغاني طلب الانتساب الى المحفل الماسوني بالقاهرة في كتاب مؤرخ في ٢٢ ربيع الثاني سنة ١٢٩٢ هجرية (١٨٧٥ ميلادية) وكانت سنه ٣٧ سنة وفيه يرجو قبوله في « ذلك المجمع المطهر .. وبادخالي في سلك المنخرطين في ذلك المنتدى المفتخر » . ووقع الطلب بامضاء جمال الدين الكابلي ، وتدل الوثائق كذلك على انتخابه رئيسا للوج كوكب الشرق سنة ١٨٧٨ .

ولعل صديقنا الدكتور عدنان ينعم على اسلاميته وعربيته بجهد يبذله في نشر « التفسير الكبير » و « الالمام باصول سيرة النبي صلى الله عليه وسلم » وهما كما اشار من مؤلفاته المخطوطة ، فيكون اجره عند الله عظيما ، ويكون كتابه عنه ونشره آثاره من الباقيات الصالحات.

وخلاصة القول انني وانا احرث الكتاب حسبتني في ندوة مع الشيخ طاهر وكرد علي ومحب الدين والباني وكان الدكتور عدنان يديرها حاذقا فنقلني بذلك من عالم ضيق جديب الى آخر رحب خصيب . بارك الله له بجهوده وصان جمال العلم والادب بوجوده .

اكرم زعيتر

•

ديوان عمر ابو قوس

نظم عمر ابو قوس ـ ١٣٣ صفحة من الحجم الكبير ـ مطبوع بالالة الكاتبة في مكتب البنقسلي بحلب

اهدى الي شاعر الشهباء الملهم الاستاذ عمر ابو قوس مجموعة دواوينه

الثلاثة : وحي الليل ، والعيون الخضر ، وجراح قلب ، فسموت معه فيها الى آفاق من الالهام ، والخيال المجنح ، والبيان الناصع ، والديباجة المشرقة ، انستني ساعات ما تردى فيه امتنا من تخاذل وخمول وشقاق .

كتب مقدمة الدواوين الدكتور كمال زبيدة ، فوجه الانظار الى ضرورة تكريم النابغين من شعرائنا ، وهم احياء ، بدلا من اهمالهم والتحامل عليهم ، حتى اذا ما قضوا نحبهم ، رحنا نندبهم ، ونلطم الخدود ، ونتناسى عيوبهم ، ونضخم حسناتهم حتى نصير الحبة قبة في كثير من الاحيان .

وقد خالف الدكتور زبيده معظم النقاد وجاراهم في آن واحد . خالفهم في الثناء المستطاب على الشاعر في حياته ، وجاراهم في المبالغة التي يعمدون اليها في وضع حسنات الشعراء ، بعد انطفاء ذبالة الحياة — مد الله عمر شاعرنا — تحت عدسات مجاهر نقدهم لتظهر في عشرات اضعاف حجمها الحقيقي .

انني اشهد انني معجب بشعر صديقي الشاعر المطبوع عمر ابو قوس ، وتشهد « مجلة الاديب » واصدقائي الكثر ان عمر لم يذكر مرة الا ذكرت انه شاعر مطبوع ، صادق العاطفة ، بحتري النسج ، متين السبك ، صحيح اللغة . ولكنني لا ارى راي الدكتور زبيدة في انه اسمى منزلة في الشعر من جميع الشعراء بقوله : « ان اللغة العربية لم تعرف في ماضيها وحاضرها شاعرا ابلغ تعبيرا ، وامتن اسلوبا ، واجمل ديباجة ، واحر عاطفة ، وابرع تصويرا ، واصدق شعورا ، وارفع فنا وخيالا ، واكثر رائعة ، واعظم مثلا عن حقيقة الشعر ومفهومه الحديث من عمر ابو قوس . فهو بلا منازع امير الشعراء العرب كافة من امرىء القيس والمتنبي وابن الرومي والبحتري واحمد شوقي وايليا ابو ماضي واضرابهم من الفحول الخالدين . ولو لم يكن له حتى الان الا قصائده التي بين ايدي القراء ، والتي لم يجتمع مثلها لشاعر قط ، لاحلته الذروة العليا من الشعر .

وانا لا اوافقه على ذلك لسببين :

الاول : ان تفضيل شاعر مطبوع على آخر مطبوع مثله ، لا يرضى به علم النقد الحديث لاننا لا نستطيع ان نقابل اية قصيدة لشاعر في الغزل او الرثاء مثلا ، باخرى مثلها من نظم شاعر آخر ، للاسباب الاتية :

— يكاد يستحيل ان يكون الشاعران في عمر واحد حتى يتساويا في العقلية والمعرفة ومدة معالجة الشعر .

— يكاد يستحيل ان يكون الشاعران في حالة نفسية واحدة عند نظم القصيدة ، فقد يتغزل شاعر بفتاة كانت غرامه الاول البكر ، بينما كان الشاعر الاخر يتغزل بفتاة سبقتها الى قلبه عشرات من الغيد .

— لا بد من اختلاف البيئة الاجتماعية التي يوجد فيها الشاعران اختلافا بينا ، ولو عاشا في مدينة واحدة . واختلاف البيئة يجعل نظرة الشاعر الى الامور تختلف عن نظرة زميله اليها ، فقد يكون احدهما يمينيا متطرفا والاخر يساريا متطرفا .

— لا بد من ان يختلف الشاعران ثقافيا ، ولو حملا شهادة جامعية واحدة ، لان الثقافة العامة ، وسعة الاطلاع ، وقراءة الانتاج الشعري العالمي ، ودرجة افادة الشاعر منها ، ومقدار استيعابه لها تختلف بين شاعر و آخر .

اما السبب الثاني الذي لا اقر الدكتور زبيده عليه فهو ان الاسراف في مدح الشاعر اسرافا غير معقول ، قد يعكس النتيجة التي توخاها الناقد من ذلك المدح المتطرف ، فيحمل النقاد الاخرين والحساد — وما اكثرهم بين ظهرانينا — على البحث عن عيوب الشاعر ، والكمال لله وحده ، وتضخيمها حتى يكادوا يجردونه من الشاعرية كما فعل العقاد بشوقي في كتابيه « الميزان » و « قمبيز في الميزان » ، وكما فعل المازني بنثر المنفلوطي ، وطه حسين حين فضل حافظ ابراهيم على شوقي في كتابه « حافظ وشوقي » ، وشتان ما بينهما .

وانا ارى ان الانسان اذا اراد ان يحطم عدوا له من الشعراء او الكتاب او القصاصين — وما اكثر اعداء هؤلاء المساكين وحسادهم — اما عليه الا ان يجعله امير الشعراء ، او امير الكتاب ، او امير القصاصين غير مدافع ، ليرى بعد ذلك كيف يثور النقاد والحساد على ذلك الاديب كما تثور النحل عندما يقترب الانسان من خليتها ، او البندقية السريعة الطلقات عندما تشد الاصبع زنادها . واربا بصديقي الشاعر المطبوع عمر ابو قوس ان يصبح رمية للنقاد الظالمين ، او ضحية على مذبح الجزارين منهم .

اما دواوينه الثلاثة هذه فيدور كثير من قصائدها حول الشاعر الحساس ، الذي عانى الامرين من دنياه ، فذاق مرارة الفقر ومرارة الحرمان من النسل . وقد عبر عن ذلك بقصائد كثيرة ، كقوله في قصيدة « الصورة المسحورة » ، التي ظهر فيها حنينه الى انجاب الاطفال واضحا جدا ، وهو في الثانية والخمسين من عمره ، بعد ان بدات حياته تنحدر عن قمة هرمها . قال في صورة طفل معلقة على احد جدران بيته :

طفل رضيع ضاحك ابدا	يرنو الي بوجهه النضر
علقته فوق الجدار على	عهد الشباب الزاهر العطر
ومكثت ايامي اشاهده	وارى به امنية العمر
ومضى الشباب كانه لجج	تهوي الى اعماق منحدر
والطفل يضحك حين ابصره	فيزيد في همي وفكري
اتراه يشعر بي ، فيضحكلي	ام قد كبرت ورابني بصري

ثم يخيل اليه ان الحياة قد دبت في الصورة فيقول :

ورأيته يهتز مضطربا	متفلتا من قبضة الجدر

ويمد لي كفيه مبتهجا   وينقل القدمين في حذر

في عمره الثاني ، ويدهشني   اني اراه مسرع الكبر

ليته قال : في عامه الثاني

حتى استوى مثل ابن عاشرة   يمشي بلا وهن ولا خور

ودنا الي ، ولست احسبه   اياه لولا صحة النظر

ابتاه ! اني جئت معتذرا   اولست طول الدهر منتظري

قد عوقتني عنك عائقة   فنأى المزار ، وطال بي سفري

ثم انحدرت اليك يا ابتي   عجلان عبر عوالم اخر

فضممته للصدر مبتهجا   وفرحت حين أتى على قدر

وشممت في انفاسه نفسي   ولمست فيه حرارة البشر

ابني ! شوقي لا يقاس به   شوق الثرى الظمآن للمطر

لكنه يرتد مبتعدا   عني ، ويرجع مفرط الصغر

ابني ! لا تبعد عن النظر   يا خير منتظر ومدخر

وغدا كواحدة من الصور   وتجمدت عيناه كالحجر

عينان قائلتان لي أبدا   لا شيء يمحو صفحة القدر

اما فقره والديون المتراكمة عليه ، فيصفها في قصيدته « شوق وعذاب » التي نظمها وهو في الكويت يناضل في سبيل العيش بعيدا عن اهله وبلده . وفيها مشابه من عينية ابن زريق البغدادي التي نظمها وهو في الاندلس ، واصفا فراقه لزوجه التي خلفها في بغداد طلبا للرزق ، فمات في الاندلس ، والخيبة تعتصر قلبه ، تلك القصيدة التي مطلعها :

لا تعذليه فان العذل يولعه   قد قلت حقا، ولكن ليس يسمعه

قال شاعر الشهباء الملهم عمر ابو قوس :

اوهى الفراق عزيمتي وتجلدي   فبكيت عند وداعها بتوجد

وتبادرت عبراتها سحا على   وجناتها كاللؤلؤ المتسرد

وذكرت اياما مضين جميلة   فيها نعمنا بالصبابة والدد

حتى رماني الدهر بالدين الذي   تعنو له نفس الابي الاصيد

وتقول لي خل الترحل انني   اخشى عليك من الزمان الانكد

وشقاء عيش قد تكابد مره   لم تلقه عندي ، ولم تتعود

فاجبتها : لا تجزعي وتجملي   للحادثات ، فان حبك مسعدي

أوما ترين الدين اثقل كاهلي   واذلني من بعد عيش ارغد

فكانني مما اكابد ميت   طويت صحيفته وان لم يلحد

ومن حسنات الشاعر الكثيرة :

ـ وضعه في نهاية كل قصيدة تاريخ نظمها ، لكي نعرف سنه عندما نظمها ، فنغض النظر قليلا عنه اذا نظم قصيدة غزلية جامحة ، وهو في عنفوان الشباب ، ونلومه عليها اذا نظمها وهو في سن الكهولة او الشيخوخة . ونثني عليه ثناء مستطابا اذا شبب بالغيد تشبيبا بريئا يدخل خدور العذارى دون ان يخجلن منه ، سواء أكان الشاعر في سن الشباب او في سن الشيخوخة . وابو قوس ـ على ما اعلم ـ اول شاعر تجاوب مع دعوتي الشعراء ، منذ نحو ثلاثين عاما ، بذكر التواريخ التي ينظمون بها قصائدهم ، ليكون حكم النقاد عليهم اقرب الى الصواب .

ـ ذكره احيانا المناسبة التي نظم فيها قصيدته ، لندخل سماء القصيدة من بيتها الاول . وليت شاعرنا ذكر المناسبات التي نظم فيها قصائده كافة .

ـ صحة لغته مع بساطتها ، وبراعته النادرة في وضع الفاظه في اماكنها اللائقة بها براعة الصائغ الماهر في وضع قطع الالماس حيث يجب وضعها في الحلية التي يرصعها بها . وهو من الشعراء القليلين جدا ، الذين لم احص عليهم خطأ لغويا مهما واحدا .

ـ وضوح معانيه وضوحا تاما ، بحيث تعكس صفحات دواوينه ما يدور في قلبه وذهنه من افكار ، كما تعكس صفحات المرايا المجلوة وجوه الذين يتمرأون فيها دون زيادة او نقصان ، وان كان من المستحسن احيانا اسدل ستار كثيف على النفس الامارة بالسوء .

ـ رقة الاسلوب مع متانة السبك ، ومن اراد الاستشهاد بالشعر السهل الممتنع ، فما عليه الا ان يفتح اية صفحة من دواوين عمر الثلاثة ، ويقرأ منها ما شاء ، ليرى كيف تفهم آراؤه بيسر وسرعة ، وكيف يرتفع بالقارىء والسامع الى آفاق الخيال المجنح ، والصور الشعرية الجميلة الطبيعية .

ـ تجنبه الضرورات الشعرية ، وهذا هو ما يمتاز به الشعراء المتمكنون من اللغة ومفرداتها .

ـ ايثاره الايجاز في الوصف ، وابتعاده عن ارهاق المعنى وتقصي جميع نواحيه ، مما يترك مجالا لخيال القارىء ولبه ، ليلعبا دورهما مع الشاعر ، ويثبتا وجودهما .

ـ ابتعاده عن التصنع ، واطلاقه العنان لطبيعته وعاطفته لتسرحا كيف شاءتا ، دون ان يشد لبه الشكيمة حين يتحتم عليه ان يشد الشكيمة .

ـ تقيده بعمود الشعر الاصيل الموزون المقفى ذي الجرس الموسيقي ، والايقاع الساحر الفتان . ودواوينه تصلح ان تكون نموذجا صالحا للدعاية للشعر الموزون المقفى ، الذي ينظم بسهولة ، ويقرأه القلب قبل ان تقرأه العين .

اما ما يؤاخذ عليه الشاعر ، فهو اطلاقه حبل عاطفته على غاربها لتسرح فوق الطرس كما تشاء ، دون مراعاة لقوانين الاخلاق العربية ، ودون تنبه الى حاجتنا الماسة الى التمسك بأهداب الاخلاق ،واعداؤنا مستعدون لبذل مليارات الدولارات ليزيدوا اخلاقنا افسادا ، كأننا لا يكفينا التدهور الخلقي الذي اوصلتنا اليه ميوعتنا ، حتى حطمتنا

نكبة حزيران ١٩٦٧ .

ومما يؤاخذ عليه الشاعر ايضا لجوؤه الى الفخر بنفسه ، كقوله :

فانا امير الشعر غير مدافع   اغنى العروبة بالقوافي الشرد

فالفخر يسمح به للشعراء ، على ان لا يسرفوا فيه اسرافا يؤاخذهم عليه تاريخ الادب . وقد كنت اوثر ان يقول ذلك عنه شخص سواه . هذا فضلا عن ان امارة الشعر وهم من الاوهام ، ولا يرضى بها العلم والمنطق .

وقد هالني ان اقرأ للشاعر قوله :

وضربت في ارض العروبة باحثا   عن صاحب حلو الشمائل امجد
يعطي على الحمد الكثير ، ولا يرى   فضلا له في الجود ان لم يزدد
ويصون وجهي عن سواه مبادلا   حبي بحب مثله او أزيد
وانا الزعيم له بذكر خالد   يبقى على مر الزمان السرمد

ولكنه — لحسن حظه وحظ الشعر — عاد بخفي حنين ، فختم قصيدته بقوله :

فاذا الذي أرجوه برق خلب   أو لمح آل كاذب في فدفد
أو زئبق يغري العيون بحسنه   فاذا هممت به تفلت من يدي
او حلم بائرة بليلة عرسها   شوهاء مهما تطلبه يبعد

والاغنياء ، وكنت ارجو ان لا ينزل شاعرنا الملهم من سمائه الى ارض

انني اضن بكرامة الشاعر ان تراق على عتبات الاغنياء ، وكنت ارجو أن لا ينزل شاعرنا الملهم من سمائه الى ارض الاثرياء الموبوءة بالانانية ، والغارقة في جحيم المباذل ، والمشوهة بضروب اللهو والمجون. واحمد الله تعالى على انهم خيبوا ظنه فيهم ، واعادوه خالي الوفاض من المال ، ومملوء النفس بكرامة الفقر والحاجة ، وهل جنى جل شعراء العرب في حياتهم من امتهم غير الجحود والعوز ؟

وانا ادعو النقاد الى ان يحملوا حملات شعواء على كل شاعر يهدر كرامته بمدح الاثرياء ، الا اذا قاموا باعمال جليلة وتضحيات كبيرة من اجل امتهم وعروبتهم ووحدتهم .

ولا بد لي في الختام من ان انصح الشاعر المطبوع بقراءة جل ما ترجم الى العربية من شعر عالمي ليتسع نطاق معانيه ويزداد تحليق خياله . ولا يلام الشاعر العربي اذا اخذ المعاني المبتكرة من الشعر العالمي ، وقام بتحويرها تحويرا كبيرا ، فبذلك يجعلنا نجني ثمار عقول الامم الاخرى ، فتتوسع مداركنا ويسمو خيالنا .

ولصديقي الشاعر عمر ابو قوس تهنئتي الحارة بمركزه المرموق في الشعر ، وبفقره وكرامته .

محمد العدناني

•

الاسلام ومشكلات العصر

تأليف الدكتور مصطفى الرافعي — قطع كبير — ٣١٤ صفحة — منشورات دار الكتاب اللبناني — بيروت

بعد انقطاع طويل عن الميدان العلمي والادب ، يعود الدكتور الرافعي الى ميدان التأليف الذي اصطفاه لنفسه في ماضي ايامه السالفة ، فكان فيه من المجلين في التحرك الفكري ، والتواضع الخلقي ، الذي يقود الى هدف الحق ، وغاية الخير ، واحاسيس الجمال .

وكتاب الاسلام ومشكلات العصر ، يعتمد مؤلفه التبسيط في تقديم الاسس لمنطق الدين وكرامة العلم في المشكلات التي قد تفضي ببعض الجهلاء الى مسخ العقيدة والعقل معا . ويبلغ الامر بهؤلاء الى اختلاط مفاهيمهم وتشابه السبل عليهم ، في عصر يتجمد فيه فهم القرآن الكريم ، بما يعاكس ويعارض فهم اسلافنا الكرام لآياته البينات . فالمدرسة النبوية الاصيلة ، التي علمت هذا الجيش العظيم من علماء امتنا ، فكانوا نبراسا لفريضة العلم والعمل الشريف ، هي وحدها ستظل الامينة لمواجهة التيارات والمشاكل المعاصرة ، والتي لا تخشى في معالجتها في الحق لومة لائم .

والدكتور الرافعي عندما ينبري لمواجهة اربع عشرة مشكلة تواجه المسلمين ، منها ما هو سياسي ، ومنها ما هو اقتصادي وتربوي ، انما يلقي الاضواء في المواجهة ثم بالمعالجة الحكيمة عندما يقول : ان صفحات هذا الكتاب لا تجترح المعجزات ، ولا تكشف المجهولات حينما تشير الى الاسلام في معرض تحليلها لقضايا العصر ، وحينما نقرر انه هو الملجأ الامين في معترك النظريات والمبادىء الدائر بين بني البشر اليوم ، ونفاسة الاسلام في ذاته لا في دعاته . ولذلك فان الصفحات التالية تقدم هذا الدين باخلاص ، وتعرضه بجد ، وتلقي الاضواء على محاسنه ومناقبه واولياته التي لم يسبق اليها ، عسى ان يكون في تقديمه في هذه المحنة التي تمر بها البشرية ، ما يهدي الى الخير ، ويسوق الى البر ، وما يسهم في دفع عربة الانسانية في طريق التقدم السليم والخير المطلق .

تلك هي بعض الفقرات التي تبرز حقيقة بعض ما في الكتاب ، الذي حفل بمبادىء الارادة والفكر والقول والعمل التي جاء بها الاسلام. ولذا فالمسلم امام مشكلاته المعاصرة ، سواء في ذلك الفرد او المجتمع ، هو الانسان الذي كان ويجب ان يكون من خير امة اخرجت للناس . وهو الامين على رسالة هذه الامة التي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتدعو الى المحبة بين بني البشر اجمعين .

هذا هو تعريف وجيز بالكتاب ، وصاحب الكتاب اشهر من ان يعرف في علمه الغزير ، واسلوبه الرصين ، الذي اغنى المكتبة العربية في الماضي بالعديد من المؤلفات الاسلامية والتاريخية والادبية والعلمية ، ونرجو له المزيد من التوفيق .

طرابلس — لبنان   **محمد اديب غالب**

قمم في الادب العالمي

تاليف الدكتور بديع حقي – صمم الغلاف الفنان نعيم اسماعيل – ١٨٤ صفحة – قطع وسط – منشورات اتحاد الكتاب العرب بدمشق .

الدكتور بديع حقي شاعر وقاص وروائي ومترجم ، عرفناه شاعرا في ديوانه الاول « سحر » باكورة اعماله الادبية ، وقاصا في « التراب الحزين » وروائيا في « جفون تسحق الصور » و « احلام على الرصيف المجروح » ومترجما لروائع الادب العالمي ، ولاسيما طاغور الذي ترجم له « جيتنجالي » و « جني الثمار » و « البستاني » و « الهلال » و « دورة الربيع » و « شيترا » وقد اعيد طبعها مجددا في مجلد واحد عن دار العلم للملايين في بيروت ، كذلك ترجم ثلاث روايات من شوامخ الادب العالمي – الروسي والاميركي – هي : « المعطف » و « اللوحة » لغوغول و « لا تزال الشمس تشرق » لارنست همنغواي ... اما اليوم فيضع بين ايدينا كتابا من نوع فريد هو « قمم في الادب العالمي » تحدث فيه عن خمسة من ادباء الشرق والغرب هم : ليف تولستوي ، جيمس جويس ، مارسيل بروست من كتاب القصة القصيرة والرواية ومالارميه وفيدريكو غارسيا لوركا من الشعراء ، اختارهم بذوقه السليم من اربعة اقطار شرقية وغربية هي : روسيا (تولستوي) ايرلنده (جويس) فرنسا (بروست ومالارميه) اسبانيا (لوركا) ، مزج في دراستهم بين السيرة والنقد ، والوصف والتاريخ والرحلة ، لذلك نحس ، ونحن نقرؤهم ، باننا مع المؤلف في سياحاته للبحث عن هؤلاء العظام ، نشاركه هذا الشوق الملحاح ، والرغبة الجامحة ، كيف لا والمعروف عن الدكتور حقي انه طاف العالم شرقا وغربا بحكم عمله في وزارة الخارجية السورية ، سفيرا في اكثر من بلاد ... لكنه لم ينصرف في غربته التي امتدت سنوات لشيء اخر غير البحث والترجمة والتاليف .

لقد استهواه ادب هؤلاء الخمسة العظام دون سواهم – ومن قبل استهواه ادب طاغور وغوغول وهمنغواي – واحب منهم لوركا بنوع خاص ، كما احبته ، فراح يتحدث عنه بقلب يفيض اعجابا واكبارا واشفاقا على مصرعه الدامي ، ويرافقه في سياحاته الى اميركا وكوبا ثم عودته الى اسبانيا ، كانه رفيق من رفاق غدواته وروحاته ، يشاركه افراحه وآلامه ... ولذلك يشعر القاريء بان لوركا قد استحال امامه شخصا حيا ، يتحرك ويتكلم ، وينبض الدم العربي في عروقه ، وصورته ماثلة للعيون من لحم ودم ف « ها هوذا اضحى فتى ربعة قسيما منظراني الوجه ، تمرح فوق خديه شامات ، كأنها شرارات سود قدحتها عيناه السوداوان القلقتان المتالقتان ، وتحبو فوق جبينه الناهض خصلة ثائرة نافرة من شعر رأسه الوصف » .

استطاع ان ينقل لنا هذه الصورة الحية عن لوركا بفضل قدرته الفائقة على الوصف والتصوير ، وتمكنه من التصرف بمفردات اللغة العربية ، والتكيف بها كانها قطعة من عجين ، وهذه موهبة فريدة لا يتمتع بها الا كبار الكتاب من امثال الجاحظ وابي حيان التوحيدي في ادبنا القديم وطه حسين وميخائيل نعيمه في ادبنا الحديث ... قليلون جدا اولئك الذين يستطيعون ان يحلوا اللفظة المجردة محل الفرشاة ترسم وتلون ، وتعطي الابعاد والظلال ، اضعف الى ذلك الاسلوب الشعري الذي عرف به الدكتور حقي في كل ما يكتب ، فهو انيق في مفرداته ، انيق في صوره وتعابيره ، يتخيرها بدقة فائقة ، وعناية ظاهرة تخير الصائغ الماهر لانفس الجواهر ... لا يسف ، ولا يتبذل ولا يمتح الا من الينابيع الاصيلة ، مهما يكن اللون الذي يكتبه ، قصة او مقالة ، وهذا دليل على تمرسه وتمكنه من الاساليب العربية الصحيحة التي استقاها من مصادرها البعيدة الغور ، ولذلك يختلط عنده النثر بالشعر ، ولو شاء ان يكتب بهندسة شعراء هذا الزمان لغدت كتاباته كلها شعرا ، ولذلك ساختار له هذا المقطع الذي يتمثل فيه لوركا يتخطر في طرقات غرناطه الضيقة ، بين بيوتها البيض ، ليرى القاريء ترف العبارة وشرف اللفظة ، واقترابها من لغة الشعر ، حتى لتكاد تكون هي الشعر نفسه خاليا من الوزن والقافية .

« واتمثله يضرب في طرقها الضيقة ، وتلثم نظراته الظامئة بيوتها البيض ، تزحف على جدرانها انامل الياسمين ناسجة ، ضافرة اغنيتها البيضاء ، وتنتصب في فنائها اشجار السرو متاودة مشيقة ، متلعة الاعناق ، ثم تنطامن نظراته الى حدائقها الفلب الى جنه العريف ، وتنسرح الى تلة الدموع التي ودعها العرب باكين ملكا مضيعا ، ثم تحبو الى قصر الحمراء تصفو في حناياه ذكريات عربية حيث يكتب « ان هذا القصر جذع الفن الجمالي في غرناطة ، هذا الفن العربي المترف الذي ما يزال فؤاد كل فنان اندلسي يهفو اليه » .

ان اي بحث من هذه الابحاث الخمسة لا يقل جودة عن الاخر ، فمن يقرأ الكتاب يدرك احاطة الكاتب الشاملة بهؤلاء الاعلام الذين تتبع آثارهم ، وامتزجت روحه بأرواحهم ، وتمثل اهواءهم وعواطفهم واميالهم قبل ان يقدم على الكتابة عنهم . ولذلك لا يستطيع القاريء – اي قاريء – الا ان يشاركه اعجابه بهم ، وتقديره لهم ، ويطمئن الى حسن اختيار هذه القمم الشامخة التي لعبت دورا هاما في الآداب الاجنبية .

وقد درسها بطريقة جديدة اختلطت فيها السيرة بالوصف ، والسرد بالتحليل ، والدراسة بالنقد والتمحيص ، دون ان يفصل بينها ، ولذلك يصعب ان نقول عن الكتاب ما اذا كان كتابا في النقد او التحليل او التراجم او الرحلات ، لانه مزج بينها جميعا ، ولذلك جاء الكتاب فريدا في بابه ، فريدا في موضوعه ، ان دل على شيء فانما يدل على تشبع الكاتب بالآداب العالمية التي عكف على قراءتها في لغاتها الاصلية بنهم لا يرتوي ، وعلى رسوخ قدمه في العربية التي تلقاها على ايدي شيوخ الادب قبل ثلث قرن ، هؤلاء الشيوخ الثقات الذين كان لهم الفضل في تخريج هذه الحفنة الممتازة التي اغنت الادب العربي باعمال ادبية متميزة .

دمشق — عيسى فتوح